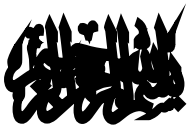

المقدمة

الحمد لله الذي تفضل ببعث الانبياء مبشرين ومنذرين. اختارهم من بين البشر آية في التبيلغ وحجة في الصلاح وباباً للارتقاء في منازل المخبتين. وكانوا قادة الامم في سبل الهداية والرشاد، ولا ينحصر اثرهم الفعال والايجابي في الاجيال التي عاصرتهم، بل انه يمتد عبر القرون ليتصل بزماننا هذا من خلال الاسلام وكاب الله المجيد. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١).

لذا يمكن اعتبار قصص الانبياء مدرسة عقائدية واخلاقية مستقلة ولها نواميسها واصولها، ويجب الاهتمام الفكري من علماء الاسلام والمختصين في الابواب والحقول المختلفة بسيرة ومنهج الانبياء والمرسلين. فهم صفوة الخليقة والنخبة التي اختارها رب العالمين لتبليغ رسالاته ومن غير واسطة احد من البشر. كما انهم تحملوا الاذى والعناء بصبر وايمان وابتليوا بما يتعرض له باقي الناس من المرض والعوز ونحوه، عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: ﴿ان الانبياء واتباع الانبياء خصوا بثلاث خصال السقم في الابدان وخوف السلطان والفقر﴾، أي ان البلاء أحاط باشخاصهم في الحياة الدنيا وليس في ذلك ما يتنافى مع ما لهم من الكرامة وعظيم الشأن

---

(١)سورة يوسف ١١١.

في الـــدارين. وفي الحـــديث ﴿ان أشـــد النـــاس بـــلاءً الأنبيـــاء، ثـــم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل﴾.

ومـــا لا يخفـــى ان الدراســـات والكتـــب المؤلفـــة في هـــذا الموضـــوع قليلـــة جـــداً، ولا تتناســـب مـــع اهميتـــه، ومـــع مكانتـــه في القرآن، كماً وكيفاً، وفى ابواب التفسير والعقيدة والاخلاق

ويمكـــن اعتبـــار هـــذا الكتـــاب محاولـــة علميـــة جديـــدة، بـــل انـــه مدرســـة تفـــتح افاقـــاً مـــن البحـــث والتحقيـــق والاســـتدلال في هـــذا الموضوع المبارك والله ولي التوفيق.

النجف الاشرف — المؤلف

٢١ شهر رمضان ١٤١٨

بين النبوة والرسالة:

النبي هو الانسان الذي اختاره الله عز وجل للاخبار عنه ومن غير واسطة انسان آخر، والرسول هو ايضاً نبي ولكنه يمتاز بان له شريعة مبتداة أي ان بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل رسول هو نبي وليس كل نبي هو رسول.

ولقد شرّف الله عز وجل الانبياء واكرمهم وفضلهم على سائر خلقه وعددهم مائة واربعة وعشرون ألف نبي من ضمنهم الرسل، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً.

وفي الفرق بين الرسول والنبي اقوال ووجوه:

١- ان النبي لا يعاين الملك بخلاف الرسول. ففي الكافي عن زرارة قال: سألت ابا جعفر الباقر عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ [1]، ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ويعاين الملك.

٢- ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه، وانما يدعو الى كتاب من قبله.

٣- الرسول الذي نسخ بالكتاب الذي انزل عليه شريعة من قبله ومن لم يكن كذلك منهم فهو نبي.

٤- ان الرسول الذي يأتيه الملك ظاهراً ويأمره بدعوة الخلق، ومن لم يكن كذلك بل يرى في النوم فهو النبي.

٥- ما ورد عن الامام الرضا عليه السلام: الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلماته وينزل عليه الوحي،

---

(١) سورة مريم ٥١

وربما يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام، والنبي ربما يسمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

٦- في الصحيح عن الاحول قال: سمعت زرارة يسأل ابا جعفر عليه السلام قائلاً: اخبرني عن الرسول والنبي والمحدّث. فقال: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً، فيراه ويكلمه، واما النبي فهو يرى في منامه على نحو ما رأى ابراهيم عليه السلام ونحو ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اسباب النبوة قبل الوحي حتى اتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة، وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل عليه السلام ويكلمه بها قبلاً. ومن الانبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه يأتيه الوحي فيكلمه ويحدثه من غير ان يكون رآه في اليقظة، واما المحدّث فهو الذي يُحدّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه.

ان ذكر الانبياء بلغة العموم والاطلاق لا يعني انهم على مرتبة واحدة من حيث تلقي الوحي والوظائف ، فقد ورد في كتاب البصائر عن الباقرين عليهما السلام: المرسلون على اربع طبقات، فنبي تنبأ في نفسه لا يعدو غيرها ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد ارسل الى طائفة قلوا او كثروا كما في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1]، وقال: يزيدون ثلاثين الفاً. ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو امام مثل اولي العزم،

(١) سورة الصافات ١٤٧

وقد كان ابراهيم نبياً وليس بامام حتى قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]، أي من عبد صنماً او وثناً وتجاوز الحد متعدياً لا يصلح للإمامة.

وكما انعم الله عز وجل على اهل الارض بالانبياء مبشرين وائمة هدى فانه سبحانه تفضل بانزال الكتب عليهم لتكون حجة وباب هداية وعوناً لاهل الايمان في عملهم ومناسكهم بل وجهادهم.

قيل يارسول الله كم انزل الله من كتاب؟

قال: مائة صحيفة واربعة كتب، انزل الله على شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة، وعلى ابراهيم عشرين صحيفة، وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان.

وفي رواية عن ابي ذر يرفعه انها مائة كتاب واربعة وعشرون كتاباً. منها انزل على ادريس خمسون صحيفة.

وروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: بعثت على رأس ثمانية الاف نبي منهم اربعة الاف من بني اسرائيل، وعلى فرض صحة السند فانها تحمل اما على اعاظم الانبياء او الذين تجمعهم صفة معينة سواء كان ذلك حسب القرائن وسياق الحديث، او من خلال المعنى.

لقد اكرم الله عز وجل بني آدم ولم يترك الارض من غير حجة، ظاهرة او مستترة، وكان الانبياء يتوارثون النبوة ويحرصون على ميثاقها. ويبشرون بالرسول الذي يأتي من

---

(٢) سورة البقرة ١٢٤

بعدهم، عن الصدوق في اكمال الدين في حديث طويل يسنده الى الامام محمد الباقر عليه السلام وفيه: ان آدم عليه السلام لما استكملت ايام نبوته، اوحى الله سبحانه اليه ان يجعل العلم وميراث النبوة في ابنه هبة الله، وبشر آدم بنوح، وكان بينهما آباء كلهم انبياء، فلما مضت ايام نبوة نوح دفع ميراث العلم والنبوة الى ابنه سام، وليس بعد سام الا هود، فكان بين نوح وهود من الانبياء مستخفين وغير مستخفين، ومن بعد هود انتهت النبوة الى ابراهيم، وكان بين هود وابراهيم من الانبياء عشرة.

ولم يكن الانبياء بمعزل عن البلاء، فلقد واجهوا صنوف الاذى وعاشوا اقسى الاحوال، وتعرضوا للشتم والضرب بل والقتل احياناً خاتمة لحياتهم الشريفة.

ومع هذا بالغ اقوام في منازل الانبياء وقاربوا بها الربوبية فجاء الاسلام ليتصدى الى تلك المبالغة بنفس الصيغ الجهادية والتربوية التي رسخها في اكرام الانبياء ومعرفة حقيقة ارتقائهم على البشر منزلة وعلماً وكرامة.

(فعن صهيب ان معاذاً لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال : يا معاذ ما هذا؟

قال: ان اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها. ورأيت النصارى تسجد لقسسها وبطارقتها قلت: ما هذا؟

قالوا: تحية الانبياء.

فقال عليه السلام: كذبوا على انبيائهم[1]

واستمر الائمة عليهم السلام في التصدي لذلك الغلو.

---

(١) تفسير الرازي ١١٢/٢.

فعن الثوري عن سماك بن هاني قال: دخل الجاثليق على علي بن ابي طالب فاراد ان يسجد له.
فقال له علي: اسجد لله ولا تسجد لي[1].

الأسم الأعظم:

وهو سر من اسرار الكون، وكنز من ذخائر النبوة، وفضل منه تعالى على الانسانية وعلى الصفوة من الانبياء خاصة، ويمكن تعريفه بانه ابواب علم تفتح خزائن متعددة من العلوم والمعجزات والكرامات والاسرار الربانية التي تتعلق بالحوادث والغيبيات والأمور الكونية ونحوها.

انه اسم الله الذي يستجيب له كل شيء بأذنه تعالى، وقد يرد في النصوص بعنوان اسم الله الأعظم أو اسم الله الأكبر أو السر الأعظم.

ولقد حجبه الله عز وجل عن العباد الا من اصطفى، واختلف في موضع وجوده من القرآن هل انه في آية معينة او مجموعة آيات وذلك جزء من الحجب والستر واحكام السر ومعارفه، وهذه صغرى، أما الكبرى فهي هل انه موجود في القرآن أم لا؟ الجواب نعم، ويدل على ذلك الكتاب والسنة قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [2].

والانبياء رُزقوا اياه ولكن بأجزاء مختلفة في الكم والكيف والاثر.

---

(١) ن.م ١١٣/٢.

(١) سورة النحل ٨٩

وفي الكافي بسنده عن البرقي يرفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال: ان الله جعل الاسم الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً.

فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً.

واعطى نوحا منها خمسة وعشرين.

واعطى ابراهيم منها ثمانية احرف.

واعطى منها موسى اربعة احرف.

واعطى منها عيسى حرفين، وكان يحيي بها الموتى ويبرء الاكمه والابرص.

واعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اثنين وسبعين حرفاً.

واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه، ويعلم ما في نفس العباد.

وفي رواية انه تعالى اعطى نوحاً خمسة عشر حرفاً.

ومن هذا التقسيم البياني تعلم منزلة آدم عليه السلام وما كان يؤديه من وظائف النبوة وتهيئة اسباب العيش لذريته في الارض. وان كان العدد وحده ليس باباً للمقارنة وحصول الفارق خاصة وان لكل حرف منها خصوصية واثراً وابواباً من العلم معينة، والمشهور في علم الاصول ان التحديد بالعدد لا مفهوم له.

وعن الامام الصادق عليه السلام قال: كان مع عيسى ابن مريم حرفان يعمل بهما وكان مع موسى عليه السلام اربعة احرف، وكان مع ابراهيم ستة احرف وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح عليه السلام ثمانية ،

وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ان اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحُجب واحد.

مع اولوا العزم:

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1].

العزم: هو ثبات الارادة ودوامها. ويقال عزمت عزماً -بالضم- وعزيمة اذا اردت فعل الشيء وقطعت عليه، والوجود هنا نقيض العدم.

ويحتمل في الاية الكريمة اعلاه معنيان:

الاول يحمل عنوان المدح وهو لم نجد له عزماً على اتيان المعصية، ومخالفة العهد والميثاق.

والثاني لم نجد له عزماً على اجتناب المعصية والتحرز من الاقتراب من الشجرة وهو الانسب ، والاقرب بقرينة النسيان في الاية، وما تدل عليه الآيات القرآنية الاخرى بالموضوع خاصة وان القرآن يفسر بعضه بعضاً.

ولذا من الصعب النظر الى موضوع العزم في الاية الكريمة بمعناه اللغوي فقط، بل يمكن تأويله وفق المعنى الاصطلاحي وان الامر يتعلق بالرسل أولي العزم من الانبياء. الذين قال الله تعالى فيهم ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2]، وهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل هم اربعة ابراهيم ونوح

(١) سورة طه ٢٢

(٢) سورة الاحقاف ٣٥

وهود ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذهب بعضهم الى انهم ستة: نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب، والاول اصح واشهر. وفي تسميتهم أولي العزم اقوال:

١- انهم بعثوا الى مشارق الارض ومغاربها، وجنها وانسها. أي ان رسالاتهم عامة. وقيل ان رسالة موسى وعيسى خاصتان.

٢- انهم اولوا الجد والثبات والصبر.

٣- قيل المراد في الاية الكريمة جميع الرسل، وان (من) في قوله تعالى ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ للبيان. وان كل نبي ذو عزم وثبات، والاقرب انها للتبعيض.

٤- انهم محور النبوة وهم اصحاب الشرائع، كل واحد منهم جاء بشريعة نسخت الشريعة التي جاء بها من قبله.

٥- انهم الذين امروا بالقتال والجهاد، واظهروا المكاشفة، وجاهدوا في الدين.

٦- انهم سبقوا الانبياء الى الاقرار بالله، واقروا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب وصنوف الاذى.

٧- عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام قال: سموا اولوا العزم لانهم كانوا اصحاب العزائم والشرائع، وذلك ان كل نبي كان بعد نوح كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه، الى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام.

٨- انهم سموا اولوا العزم لما عهد اليهم في محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاوصياء من بعده فاجمع عزمهم على

الاقرار به وانه كذلك[١]. وفي آدم عليه السلام ورد عن الباقر عليه السلام انه عهد اليه في محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة فترك ولم يكن له عزم انهم هكذا.

٩- صبروا على مكروه الدنيا وصبروا عن محبوبها، وهو المروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد وسوس الشيطان لآدم عليه السلام فاكل من الشجرة بعد ان عهد له الله عز وجل ان لا يأكل منها، فكان ذلك منه نسياناً سواء كان النسيان بمعنى الترك او نقيض الذكر[٢].

أعمار الأنبياء وصفاتهم:

قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [٣]. لقد كتب الله عز وجل على الناس الموت ببديع حكمته. وجعله سبيلاً لمغادرة الحياة الدنيا باعتبار حتمية زوالها وانها مزرعة الاخرة

والانبياء في هذا الموضوع يخضعون للنواميس الثابتة في اصل الخلقة، بل ان بعض الانبياء قتل في سن الشباب كيحيى عليه السلام ومنهم من رزقه الله طول العمر حجة وآية في التبليغ. وبالاسناد عن الامام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

عاش آدم ابو البشر تسعمائة وثلاثين سنة.

---

(١) مجمع البحرين ٤٨٤

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٢/٤

(٣) سورة الانبياء ٣٤

وعاش نوح الفين واربعمائة.

وعاش ابراهيم عليه السلام مائة سنة وخمساً وسبعين.

وعاش اسماعيل بن ابراهيم مائة وعشرين سنة.

وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة.

وعاش يعقوب عليه السلام مائة وعشرين سنة.

وعاش يوسف عليه السلام مائة وعشرين سنة.

وعاش موسى عليه السلام مائة وستاً وعشرين سنة.

وعاش هارون عليه السلام مائة وثلاثاً وثلاثين سنة.

وعاش داود عليه السلام مائة سنة منها اربعون سنة ملكه.

وعاش سليمان بن داود عليه السلام سبعمائة سنة واثني عشر سنة.

لقد رزق الله الانبياء درجة عالية من الذكاء والحلم وبما يناسب هذا المنصب الالهي ويساهم في التأثير الفعال في المجتمع واداء وظائف النبوة على احسن وجه. روى علي بن ابراهيم عن ياسر عن ابي الحسن - الامام موسى بن جعفر- عليه السلام انه قال: ما بعث الله نبياً الا صاحب مرة سوداء صافية). أي ذو قوة في العقل والرأي وثبات في الدين. واشير الى معناها في الطب القديم انها غاية الحذق والفطانة والحفظ ووصفت في الحديث بانها (صافية) أي خالية من مخالطة الخيالات الفاسدة والاخلاق الرديئة.

آدم نبي:

النبي هو الانسان الذي اختاره الله عز وجل للاخبار عنه وليبلغ ومن غير واسطة عن الله عز وجل الاحكام لذا قيل انه سمي نبياً لانه انبأ أي اخبر عن الله، وسواء كان له شريعة او ليس له شريعة.

لقد كان آدم عليه السلام نبياً بل ورد في رواية انه نبي رسول، قال تعالى: ﴿اني جاعل في الارض خليفة...﴾[1]، وكانت الارض كلها لآدم وفي الحديث: خلق الله تعالى آدم واقطعه الدنيا قطيعة[2].

وبالاسناد عن ابي ذر الغفاري قال: دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس وحده، فجلست اليه فقال لي: يا أبا ذر، ان للمسجد تحية، وان تحيته ركعتان، فقم فاركعهما، فلما ركعتهما جلست اليه، فقلت: يا رسول الله، انك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، استكثر او استقل. ثم ذكر قصة طويلة قال فيها:

قلت: يا رسول الله، كم الانبياء؟

قال: مائة والف واربعة وعشرون ألفاً.

قلت: يا رسول الله، كم المرسل من ذلك؟

قال:: ثلثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً. يعني كثيراً طيباً.

قلت يا رسول الله، من كان أولهم؟

قال: آدم.

قلت: يا رسول الله وآدم نبي مرسل؟

---

(١) سورة البقرة ٣٠

(٢) مجمع البحرين ٣٦٣ طبعة حجرية

قال: نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قُبُلاً[١].

وبالاسناد عن ابي امامة عن ابي ذر قال: قلت: يا نبي الله، أنبياً كان آدم؟ قال: نعم، كان نبيّاً، كلمه الله قُبُلاً.

مما يبدو واضحاً ان احكام الشريعة في الارض وما يتعلق بواجبات الانسان ونوع افعاله بدأت مع وجود آدم فيها، ولقد اختاره الله للتبليغ الى ولده وزوجه. وفي الخبر انه انزل عليه إحدى وعشرون صحيفة كتبها آدم عليه السلام بخطه علمه اياها جبرئيل عليه السلام.

وذكر الطبري ما نسبه الى القيل انه كان مما انزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة.

وقد ورد في الخبر انه مما أوحى الله الى أبينا آدم عليه السلام: ﴿ان المستنبطين للعلوم عندي أفضل من عمّار الأرض بالصنائع ومن استنبط علماً ودوّنه في كتاب فهو بمنزلة آدم الصفي﴾[٢]. وورد أيضاً ان الله تعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿روحك من روحي وطبيعتك على خلاف كينونتي﴾[٣]، ولم يذكر السند في كلا الخبرين ولا جهة الصدور.

ان الملازمة بين اول وجود للانسان على الارض وبين النبوة يعتبر فخراً للناس جميعاً وتشريفاً لهم وحجة لاهل الايمان وبركة تتغشاهم جميعاً وعبرة وموعظة.واكراماً منه تعالى لمقام الابوة باعتبار ان ادم ابو البشر.

---

(١) تأريخ الطبري ١٥١/١

(١) الاسفار ٥/٦

(٢) مجمع البحرين/ طبعة حجرية

الحياة اليومية للأنبياء:

مع عظيم منزلة الانبياء ومقامهم الاجتماعي، وما فضلهم الله عز وجل به، فانهم يعيشون حياتهم اليومية كسائر البشر ووفق احوال مجتمعهم ويواجهون العناء الشخصي ويمارسون الاعمال بالاضافة الى ما يعانون من الاذى والاضطهاد. عن الامام الصادق عليه السلام قال: ان كان النبي من الانبياء ليبتلى بالجوع حتى يموت جوعاً وان كان من الانبياء ليبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً، وان كان النبي من الانبياء ليبتلى بالسقم والامراض حتى يتلفه، وان كان النبي ليأتي قومه، فيقوم فيهم ويأمرهم بطاعة الله ويدعوهم الى توحيد الله وما معه مبيت ليلة فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون اليه حتى يقتلوه، وانما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده[1].

ولقد مارس الانبياء المهن والاعمال وكانت في الغالب اعمالاً بسيطة متواضعة وسبباً للمعيشة يتناسب وروح الزهد، ويدل على عدم التوجه الى الدنيا وزخرفها، وكان نوح مثلاً نجاراً وادريس خياطاً.

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ان الله عز وجل احب لأنبيائه من الاعمال الحرث والرعي لان لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء. وقال عليه السلام: ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم، يعلمه بذلك رعية الناس.

---

(١) الجزائري/ قصص الانبياء ١٢ عن كمال الدين

ولقد بارك الله عز وجل للانبياء في رزقهم وان امتازوا في مأكلهم بالتواضع وعدم الاسراف. ورد عن الامام الرضا عليه السلام انه قال: ما من نبي الا وقد دعي لاكل الشعير وبارك عليه، وما دخل جوفاً الا خرج كل داء فيه وهو قوت الانبياء وطعام الابرار ابى الله ان يجعل قوت انبيائه الا شعيراً. وعن الامام الصادق عليه السلام السويق[1] طعام المرسلين، واللحم باللبن مرق الانبياء، وكان احب الاصباغ[2] الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخل والزيت وهو طعام الانبياء، وما افتقر أهل بيت يأتدمون بالخل والزيت.

لقد خلّف الانبياء للناس ميراثاً كريماً في باب الغذاء والصحة ووجوه الشفاء. فاذا تتبعت القيمة الغذائية لاطعمتهم ترى فيها الفوائد الاساسية وكفاية البدن مع رخصها في مختلف الازمان وسهولة تناولها.

ومع عظيم بركات الانبياء في مجتمعاتهم وعموم أهل زمانهم والاجيال المتعاقبة، فانهم لاقوا شتى صنوف البلاء، والايذاء الخفي. فبالاسناد عن الاشعري رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث لم يفر منها نبي فمن دونه، الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق.

وفسرت الطيرة هنا بانه يتطير منهم لانهم لا يتطيرون. ويشهد على ذلك قوله تعالى في قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾[3]. وقوله تعالى في ذم قوم

(١) السويق: دقيق مقلو يعمل من الحنطة او الشعير

(٢) الصبغ -بالكسر- مايستطبع به من الادام والزيت لان الخبز يغمز فيه

(٣) سورة النمل ٤٧

اساءوا لانبيائهم: ﴿انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم...﴾[1]. واما الحسد هنا فهو ان يحسدهم الناس لا ان يَحسدوا، كما في قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[2].

واما التفكر في الخلق، فهو ابتلاؤهم بأولئك الذين يترددون في قبول دعوتهم بالتشكيك والتساؤل في اصل الكون واسراره.

لقد انعم الله على الانبياء والمرسلين بالرزق الحلال، سواء كان ذلك بلغة الامر والارشاد، او بتهيئة الاسباب وتسلحهم بالتحرز والتحفظ من الحرام. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[3].

وورد في الكافي باسناده عن معمر بن خلال قال: نظر ابو جعفر عليه السلام الى رجل وهو يقول: اللهم اني اسألك من رزقك الحلال. فقال ابو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيين. قل اللهم اني اسألك رزقاً واسعاً طيباً من رزقك.

وروى الشيخ في الامالي باسناده عن رجل جعفي قال: كنا عند ابي عبد الله عليه السلام فقلت: اللهم اسألك رزقاً طيباً فقال ابو عبد الله عليه السلام: هيهات، هيهات. هذا قوت الانبياء، ولكن سل ربك رزقاً لا يعذبك عليه يوم

---

(١) سورة يس ١٨

(٢) سورة النساء ٥٤

(١) سورة المؤمنون ٥١

القيامةِ. هيهات ان الله يقول ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، والطيبات الرزق الحلال. ولعل المراد اننا لا نعلم بالحكم الواقعي وان رزق المؤمنين يجري وفق الحكم الظاهري.

اما من حيث اللغة التي كان يتكلم بها الانبياء. فقد اشار لها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾[1] أي ان النبي يحتاج التكلم بلغة قومه للبيان، وانما عرف الانبياء بالكلام والدعوة الى الله عز وجل، وذلك لا ينفي معرفتهم للغات الاخرى من ناحية الاكرام والاعجاز، ولقد كان آدم عليه السلام يتكلم العربية.

وبالاسناد عن عمر بن ابان عن بعضهم قال: كان خمسة من الانبياء سريانيين آدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم. وكان لسان آدم العربية وهو لسان اهل الجنة، فلما عصى ربه ابدله السريانية. قال: وكان خمسة عبرانيين اسحاق ويعقوب وموسى وداود وعيسى، وخمسة من العرب هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم[2].

صفة آدم:

مما لا يختلف فيه المليّون حسن وجمال يوسف عليه السلام وفيه كموضوع جرت قصص وأحاديث عجيبة، وعندما يراد وصف جماله عليه السلام وتقريبه الى الأذهان بالتشبيه

(١) سورة ابراهيم ٤

(٢) قصص الانبياء ٩ عن الاختصاص للمفيد

الحسي أو العقلي، والتشبيه باب معروف في البلاغة باعتباره أول طريقة لبيان المعنى والدلالة على الطبيعة، وهو في الاصطلاح مماثلة بين أثنين أو أكثر من خلال الاشتراك بصفة ما ، يتحقق منها الغرض وقصد الإفهام ، ويجري بين طرفين، المشبه الذي يراد تمثيله والحاقه بغيره، والمشبه به الذي يراد أن يلحق به المشبه من خلال الوصف الذي يكون فيه المشبه به أظهر وأقرب الى الأذهان منه بالمشبه. عندما يراد وصف جمال يوسف عليه السلام يُشبّه بآدم عليه السلام ، بلحاظ ما أمتاز وأتصف به آدم من بين البشر بأن خلقه الله عز وجل بيده وجعله آية عظمى بين الملائكة وسكان السماوات.

وفي حديث النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم مع فاطمة عليها السلام في وصف علي عليه السلام: وأما ما قُلتِ أنزع عظيم العينين فأن الله خلقه بصفة آدم[1] أي أن صفة آدم والتمثيل بها محط فخر واعتزاز.

وفي حديث هشام بن العاص قال: بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الإسلام الى أن قال: فأقمنا ثلاثاً فارسل، أي هرقل، الينا ليلاً، فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا، فأعدناه ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب، ففتح بيتاً وقفلاً، فأستخرج حريرة سوداء فنشرناها فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الأليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية وإذا له ظفيرتان أحسن ما خلق الله، فقال أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا آدم عليه

(١) البحار ٣٢/١

السلام، وإذا هو أكثر الناس شعراً[١] الى أن قال: ثم فتح باباً آخر فأستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة كصورة آدم كأن وجهه الشمس، فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يوسف عليه السلام.. ... الحديث[٢].

ولقد كان آدم عليه السلام طويل القامة بما يفوق كثيراً المتعارف في هذه الأزمان. بالإسناد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة آدم ويوسف وداود، فقلت: ما بلغ بكاؤهم. فقال: أما آدم عليه السلام فبكى حين اخرج من الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء، فبكى حتى تأذى به أهل السماء، فشكوا ذلك الى الله فحط من قامته.. ... الحديث، وفي رواية وكان يتأذى بالشمس فحط من قامته[٣]. أي أن النقص في طوله كان لمنفعته بل وحاجته ويتناسب مع وجوده على سطح الأرض. وربما كان الطول الزائد ملائماً لاحوال المعيشة والإقامة في الجنة.

وبالإسناد عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أباكم آدم كان طُوالاً كالنخلة السَّحوق، ستين ذراعاً، كثير الشعر، مواري العورة، وانه لما أصاب الخطيئة بدت له سوءته فخرج هارباً في الجنة، فتلقاه شجرة، فأخذت بناصيته، وناداه ربّه، افراراً مني يا آدم، قال: لا والله يارب، ولكن حياءً منك مما قد جنيت، فأهبطه الله الى الأرض..... الحديث[٤].

---

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٢

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٢ – ٢٥٣

(١) الجزائري / قصص الانبياء عن تفسير العياشي

(٢) تأريخ الطبري ١/ ١٦٠

وفي روضة الكافي عن علي بن إبراهيم عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال سُئل عن طول آدم وحواء حين هبطا الى الأرض. فقال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان الله تعالى لما أهبط آدم الى الأرض، أن رجليه كانا بثنية الصفا ورأسه دون أفق السماء وأنه شكا الى الله.

لقد ورد في الحديث ان الله عزوجل خلق آدم على صورته، ولا بد من اعادة الهاء في صورته الى غير الله عزوجل لانه ليس بجسم ولا يوصف بكيف وان ضل بذلك المجسمة، وهي تعود الى آدم عليه السلام الذي لم يتدرج في الخلق من نطفة ثم علقة ثم مضغة مروراً بمراحل النمو الاخرى بما فيها سن الطفولة والصبا. وفي العيون انه سئل الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ان الناس يروون ان رسول الله صلىالله عليه وآله وسلم قال: ان الله خلق آدم عليه السلام على صورته، فقال: والله لقد حذفوا أول الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فان الله تعالى خلق آدم على صورته. وعن الباقر عليه السلام: انها صورة محدثة اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فاضافها الى نفسه كما اضاف الكعبة والروح الى نفسه فقال: ﴿بيتي ونفخت فيه من روحي﴾. وقد ذكرت وجوه عديدة للحديث، بلغت في الاصول المهمة عشربن وجهاً.

أسم آدم:

اختلف في اشتقاق اسم آدم:

١- انه خلق من أدمة الارض ولونها وما فيها من مشربة من سواد سيما وان آدم كان أسمر اللون. وعن الصادق عليه السلام انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن آدم لم سمي آدم ؟ قال: لأنه خلق من طين الأرض واديمها (وفي معاني الاخبار، معنى آدم لانه خلق من أديم الارض الرابعة)[١] ولذلك (ورد عن ابن عباس قال: انما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض)[٢] وقال الصدوق: اسم الارض الرابعة أديم وخلق منها آدم فلذلك قيل من أديم الارض، وهذا الحصر يحتاج الى دليل.

٢- ذكر قوم انه افعل وصف مشتق من الادمة ولذا منع من الصرف[٣].

٣- قال الجواليقي: اسماء الانبياء كلها أعجمية الا اربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد.

٤- هو اسم سرياني أصله (آدام) بوزن (خاقا). عُرّب بحذف الالف الثانية. وقيل انه اسم اعجمي لا اشتقاق له[٤].

٥- قال الثعلبي: التراب بالعبرانية آدام، فسمي آدم به.

٦- انه من الادم بمعنى الالفة والاتفاق.

ولا مانع من اجتماع عدة اسباب وعلل في تسمية آدم، سواء ما يتعلق بالارض التي خلق منها آدم او ما يخص الالفة.

---

(١) مجمع البحرين ٤٦٣ طبعة حجرية

(٢) الاتقان في علوم القرآن ٤/ ٥٨

(٣ -٤) ن.م ٤/٥٨

وآدم عند العجم والهنود هو كيومرت.

خلق آدم:

خلق آدم أمر يهم الناس جميعاً لأنه أبو الناس جميعاً واصل الانسانية منه تفرعت هذه الامم وتكاثرت على مر العصور، ولم يكن خلق آدم منفصلاً عن المخلوقات الاخرى وانما كان جزءً من الموجودات التي شاء الله أن تكون بعالم مترابط ونظام متناسق (لذلك روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: ان الله خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الاربعاء فتلك أربعة ايام وخلق الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم[1].

انه أمر يدل على أهمية خلق آدم عليه السلام وافراده بذكر خاص ومتميز من بين الخلائق.

لذلك ورد عن عبدالله بن سلام: فخلق فيها آدم، أي آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة[2].

انه نوع ملازمة بين بداية خلق الانسان ونهاية وجوده على سطح الارض وما سخره الله له.

بالاسناد عن سعد بن عبادة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان في الجمعة خمس خصال: فيه خلق آدم،

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ٩/ ١٠٦

(٢) الطبري / تأريخ الرسل والملوك ٤٧/١.

وفيه أهبط الى الارض، وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا اعطاه الله إياه، ما لم يسأل إثماً أو قطيعة، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة) وفي الخبر عن سلمان قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اتدري ما يوم الجمعة؟ قلت: لا، قال: فيه جمع ابوك.

ولم يكن خلق آدم دفعة واحدة وان كان الله عز وجل قادراً على ذلك ولكنه كان تدريجياً وعلى مراحل، كما تفضل سبحانه بخلق السموات والارض في ستة أيام مع قدرته بخلقها بأمره ﴿كن فيكون﴾ لحكمته في الخلق وليتعلم الناس الصبر.

وبدأ ذلك التدريج من ساعة اختبار طينة آدم. لما روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان القبضة التي قبضها الله عز وجل من الطين الذي خلق منها آدم ارسل اليها جبرئيل عليه السلام أن يقبضها. فقالت الارض: اعوذ بالله أن تأخذ مني شيئاً، فرجع الى ربه وقال يا ربّ تعوذت بك مني، فأرسل اليها اسرافيل فقالت مثل ذلك، فأرسل اليها ميكائيل. فقالت مثل ذلك، فأرسل اليها ملك الموت فتعوذت بالله أن يأخذ منها شيئاً. فقال ملك الموت واني اعوذ بالله ان ارجع اليه حتى اقبض منك.

وتظهر الرواية عزم ملك الموت على انجاز ما امره الله تعالى به وإعطاءه الاولوية، ولكن ذلك لا يعني قصور الملائكة الذين رجعوا بسبب استعاذة الارض، وورد في الرواية ان امره تعالى لملك الموت على الحتم. أي ان امر الله تعالى الى من تقدمه من الملائكة لم يكن على وجه الحتم

والوجوب.(وروي قريب منه عن ابن عباس وعبدالله بن مسعود)[1].

وذات الطينة لم يخلق منها آدم عند اقتطاعها وانتزاعها من الارض. بل انها مرت بمراحل من التغيير من غير استحالة أو تحول نوعي أو استهلاك في مادة اخرى. (فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض، فجاء بنو آدم على قدر الارض، جاء منهم الاحمر، والاسود، والابيض، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب، ثم بُلّت طينته حتى صارت طيناً لازباً، ثم تركت حتى صارت حمأً مسنوناً، ثم تركت حتى صارت صلصالاً كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[2]-[3].

وهذا الاختلاف الظاهر بين الناس في اعيان اشخاصهم وما يلحقها من الاعراض هو العلة التكوينية في اختيار طينة آدم من عموم الارض، روى الصدوق عن ابن سلام انه قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خلق آدم من الطين كله او من طين واحد. قال: بل من الطين كله ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً وكانوا على صورة واحدة، قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال التراب فيه ابيض وفيه أخضر، وفيه أشقر، يعني شديد الحمرة، وفيه أزرق، وفيه عذب وفيه ملح،

---

(١) انظر تأريخ الطبري ٩٠/١

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) تأريخ الطبري ٩٢/١

فلذلك صار الناس فيهم ابيض وفيهم اصفر وفيهم اسود على الوان التراب (وبالاسناد عن حبة العرني عن علي عليه السلام قال: ان الله عز وجل خلق آدم من اديم الارض فمنه السباخ ومنه الملح ومنه الطيب، فكذلك في ذريته الصالح والطالح[1].

بل ورد في الخبر ان الماء الذي صب على تلك الطينة كان مختلفاً بالعرض لامور تتعلق بخلقة آدم لان الله عز وجل اراد له أن يكون في احسن صورة وهيئة ومؤهلاً للخلافة في الارض وقادراً على العبادة بوجوهها العقلية والبدنية والمالية.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

والتقويم: الاستقامة وجعل الشيء على افضل ما يكون من التأليف والهيئة.

وفي ذلك حجة على الانسان وآية في نفسه واصل خلقته تملي عليه ضرورة الشكر وأتخاذ دروب الطاعة، وعدم تسخير تلك الاعضاء والاجزاء والجوارح في معصية الله. عن امير المؤمنين عليه السلام ان الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من اديم الارض بأربعة طينات طينة بيضاء وطينة حمراء وطينة غبراء وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحزنها، ثم أمره ان يأتيه بأربع مياه، ماء عذب وماء ملح وماء مر وماء منتن، ثم أمره ان يفرغ الماء في الطين، فجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينيه، وجعل الماء المر في أذنيه، وجعل الماء المنتن في أنفه[3].

---

(١) علل الشرائع ٨٣/١

(٢) سورة التين ٤

(٣) الجزائري / قصص الانبياء ٢٨

وفي علة ذلك وبيان منافعه جاء عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: انما جعل الماء العذب في الحلق ليسوغ له أكل الطعام، وجعل الماء المالح في العينين ابقاء على شحمة العين لان الشحم يبقى اذا وضع عليه الماء، وانما الماء المر في الاذنين فلئلا تهجم الهوام على الدماغ ومن ذلك انها اذا وصلت الى الماء المر في الاذنين ماتت، فلو تعدى الماء المر وصل الى الدماغ[1]. وفي ذلك آية على بديع صنعه تعالى وتفسير للآية الكريمة اعلاه.

وفي الحديث: ﴿ان الله خلق آدم بيده ثم سواه قِبَلا﴾[2]، أي بلا واسطة ومن غير ان يولي أمر خلقه أحداً من الملائكة، انه نوع اكرام للانسان ولكن الذي يجب ان لا يغفل عنه هو لزوم الشكر لهذا التشريف وابرازه خارجاً بالارتقاء في سلم العبادة والطاعة.

ان خلق آدم دليل على وجود واجب الوجود، ففي خلقه من طين دليل على ان الاسباب القريبة لخلقه حادثة وأنه حادث يفتقر الى الحيز والحركة والتغيير بل وحتى التدرج في مراحل خلق آدم يؤكد حقيقة أن الله عز وجل فاعل مختار باعتبار ان المؤثر الموجب يستحيل تخلف اثره عنه. وان سبق خلق آدم بوجود الارض والطين يؤكد ان آدم ليس بقديم وانه ممكن مسبوق بالعدم. وكذلك غيره من الخلائق كما ورد في الحديث: انه تعالى خلق ألف ألف آدم.

وقد جاءت آيات القرآن لتؤكد ان خلق الانسان من طين، وكان ذلك مدخلاً كريماً لاثبات حقيقة البعث والنشور.

---

(١) توحيد المفضل

(٢) لسان العرب ٥٣٨/١١

وفي باب علة حرمة أكل الطين ذكر ان آدم خلق منه، قال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى﴾ (١).

وقد يسأل بعضهم عن حال الذين يموتون في الكواكب الاخرى في حال هجرة الناس اليها وكيف يعادون الى الارض.

ان تلك الاعادة قد لا تكون فورية بعد الموت وامثال ذلك موجودة منها ما يتعلق بحال الوفاة كمن لا يدفن عند موته، وخروجه عن المألوف ،أو بسبب سنن ملته. كذلك أولئك الذين قد يدفنون في غير الارض فأنهم لابد وأن يعادون اليها قبل النشور ليكون منها بعثهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٢).

أي ان احكام النشور شاملة لسكان السماوات والارض والانتقال واتخاذ غير الارض مسكنا ثم مدفنا لا يمنع من امتزاج العناصر واعادة الاجزاء الى اصولها.

ومن صفاته تعالى انه مريد أي انه عالم بما يشتمله الفعل من المصلحة الداعية الى ايجاده وبما يخصص ايجاده في وقت دون آخر، وجهة دون اخرى، من غير تأثر بمولدات تلك الارادة أو الانفعال بها كما عند الناس حيث ينالهم شوق أو نحوه يبعث الى تحصيل الفعل لان علمهم كسبي انطباعي، أما علمه تعالى فهو حضوري ذاتي وسابق للمعلوم.

---

(١) سورة طه ٥٥

(٢) سورة الانبياء ١٠٤

بالاسناد عن ابن عباس قال: أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت، فخلق آدم من طين لازب حمأ مسنون قال: وانما كان حمأ مسنوناً بعد التراب. قال: فخلق منه آدم بيده، فمكث أربعين ليلة جسداً ملقّى، فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله، فيصلصل فيصوّت، قال: فهو قول الله تبارك وتعالى ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾[1]. يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت، قالَ: ثم يَدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل في دبره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئاً للصلصلة، ولشيء ما خلقت، ولئن سُلّطتُ عليك لاهلكنّك، ولئن سُلطتَ عليّ لأعصينك[2].

وقيل لما نفخت الروح في آدم اتته من قبل رأسه. ربما تشريفاً لمكان العقل، أو لصلاحيته لبداية الحياة وجريانها في البدن، أو قابلية لتلقي الروح، أو لانه مركز الاحساس العصبي.

وقد روي بالاسناد عن ابن مسعود وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه لما بلغ الحين الذي اراد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: اذا نفخت فيه من روحي فأسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله عز وجل له: رحمك ربّك، فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى

---

(١) سورة الرحمن ١٤

(٢) تفسير الطبري ٩٢/١

الطعام، فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة. الحديث[١].

وفي قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢]، ورد عن ابن عباس انه قال: اراد بالانسان آدم عليه السلام وانه لما بلغ الروح صدره أراد ان يقوم.

وفي اشارة الى سجايا الانسان وظهور العجلة على سلوكه وانه مجبول عليها. وقيل ان العجل هنا هو الطين بلغة حميّر.

آدم والملائكة :

سيبقى خلق آدم آية في العالمين ودليلاً على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وحكمته وعلمه لفعله المتقن ، وآدم الذي تتجسد فيه آثار الحكمة هو الكائن الصغير من بين مخلوقات الله تعالى العظيمة كالسماوات والارض والكواكب والنجوم والجبال والباقية الى يوم القيامة يفوز بخلافة الله عز وجل في الارض وتتعاقب الاجيال من ولده على وراثتها ترى هل سيعمر ادم طويلاً، وكيف سيكون الذين من بعده .

ولقد ثبت في مباحث علم الكلام انه تعالى واجب الوجود وان كل شيء غيره ممكن مسبوق بالعدم وحادث غير قديم ومستند اليه تعالى اما مباشرة أو بالواسطة وهو تعالى عالم، كذلك فان العلم بالعلة يستلزم العلم بالمعلول وهو سبحانه عالم بذاته فيكون عالماً بكل معلوم جزئياً كان أو كلياً، ذاتاً أو عرضاً، له وجود خارجي او ذهني على خلاف من ذهب من

(١) تفسير الطبري ٩٤/١

(١) سورة الانبياء ٣٧

الفلاسفة الى انعدام الوجود الذهني. فانه تعالى يعلم الخاطرة التي تخطر على قلب الانسان ثم ينساها، فان الله عز وجل لا ينساها قال تعالى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[1].

وبالاضافة الى الايات السماوية وحركة المخلوقات والافلاك ونضدها واوضاعها وخواصها. والمخلوقات الارضية وما في موجوداتها ومركباتها كالتركيب العقلي من الجنس والفصل او التركيب الخارجي كتركيب الجسم من المادة والصورة، أو تركيب المقادير، واشتراكها جميعاً في الافتقار والحاجة، وهو جزء من بديع صنعه وحكمته ودليل على ربوبيته ووحدانيته.

تفضل سبحانه بتزيين تلك المعالم بالانسان هذا المخلوق الصغير جسماً، الكبير بلحاظ الشأن والاهمية ، بما جعل الله عز وجل فيه من خوا ص عجيبة وخلق منتظم دقيق ووظائف اخلاقية وكونية عظيمة تتعلق بماهية الخلافة في الارض ومافيها من وجوه الابتلاء واسباب الرفعة قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

والملائكة اجسام نورانية لطيفة لها القدرة على تغيير اشكالها وصورها بهيئات مختلفة، وهي دائبة على الطاعة والتسبيح وتسكن السماء وقد ينزل بعض منها الى الارض

---

(١) سورة طه ٧

(٢) سورة البقرة ٣٠

لامر ما كما في نزول جبرئيل المتكرر وظهوره للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً بصورة دحية الكلبي[1].

والملائكة مع عظيم خلقهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وغذاؤهم التسبيح ونسيم العرش، وهم لا يفعلون الا الخير، بعكس الشياطين الذين لا يفعلون الا الشر، والجن الذين يفعل شطر منهم الخير وشطر يفعل الشر.

ترى لماذا هذا الاستفهام من الملائكة ﴿ قالوا أتجعل فيها﴾ وهل هو استفهام استنكاري حسب قواعد اللغة أم انه استعلامي وسؤال استخبار ومعرفة وجه المصلحة؟ الارجح هو الاخير للاصل الثابت ان الملائكة دائبة على الطاعة والتسبيح. ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن ما جعله الله لآدم من المنزلة السامية هال الملائكة وافزعها مع علمها انه تعالى عالم لا يفعل الا الافعال المحكمة ، كما انهم يحسون ويشاهدون آياته ومخلوقاته. فقالوا ذلك على وجه الاقرار والايجاب وان خرج مخرج الاستفهام.

لقد ثبت انه تعالى غني غير محتاج، فوجوب وجوده يعني بالضرورة استغناءه عن كل شيء فان كل ما عداه ممكن محتاج بما في ذلك الملائكة فلماذا اذن هذا الاخبار والخطاب الخاص الى الملائكة بخلافة آدم. فيه وجوه:

١- اهمية موضوع خلق آدم في الخلائق.

---

(١) دحية بن خليفة الكلبي، صحابي، شهد أحداً وما بعدها، عرف بحسن الصورة، وكان جبرئيل يأتي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورته أحياناً، وهو تشريف يدل على الوثاقة، أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى قيصر رسولاً سنة ست في الهدنة فأمن به.

٢- ان الملائكة لا تعلم الا ما علمها الله، ومن ذلك انباء الغيب.

٣- لكي تطلع الملائكة على العوالم الاخرى في خلقه تعالى.

٤- لتؤدي الملائكة وظائفها ازاء هذا الامر، وما يجري على الارض من تغيير.

٥- انه سبيل لدوام الملائكة على الطاعة بالاستجابة والرضا ساعة الامر، وما يحتمل فيه من الابتلاء.

٦- ان يطلعوا على بديع صنعه تعالى بخلق مغاير لهم في الهيئة والفعل ومادته وهى الطين.

٧- فيه لطف بالملائكة ليستعدوا لما يأمروا به كالسجود لآدم.

٨- يستعد الملائكة لعملهم وما يأمرهم الله به بخصوص بني آدم من كتابة الحسنات وتدوين السيئات ونحو ذلك.

ولم يعرف عن الملائكة الا الطاعة، والقرآن يؤكد على ذلك ويثبته في آياته قال تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ (١) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢)

ترى هل كان في قوله ﴿اتجعل فيها﴾ انكار ورد خلافاً لآداب الطاعة الملازمة لهم والظاهرة دائماً على افعالهم أم أنه يؤول على وجه من وجوه الطاعة وفيه سعي لتحصيل الصيغة المناسبة منها، وطلب بيان وسؤال استفهام كي لا يقصروا في

---

(١) سورة الرعد ١٣

(٢) سورة النحل ٤٩

دئبهم على الطاعة والتسبيح. الارجح عقلاً وسمعاً هو الثاني.

ولكن ما هي علة هذا السؤال؟

١- ان الملائكة اطلعوا على ما ستفعله ذرية آدم من المعاصي اجمالاً فسألوا عن ذلك وما فيه من وجوه الحكمة واسرار الخلق.

٢- لأن الانسان مركب من البدن والروح وان قوى الشهوة والعفة، والصلاح والفساد، والخير والشر ونحو ذلك من الاخلاط المتنافية، وارتكاب المحرمات، وماهية الملائكة عقل من غير شهوة.

٣- ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ جملة حالية أي اننا حال تلبس الانسان بالمعصية، دائبون في التسبيح لا نغادر منازل التقديس والتنزيه لمقام الربوبية، وبذلك يمكن فهم الاستفهام على التأذي من فعل ذرية آدم حال اشتغال الملائكة بالتسبيح والتقديس.

روي عن عبدالله بن مسعود وغيره انه لما قال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، قالوا ربنا وما يكون الخليفة. قال تكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ.....﴾ الآية، وقيل ربما اطلعوا على ما كتبه القلم في اللوح المحفوظ وما هو كائن الى يوم القيامة.

٤- انهم قالوا ذلك ظناً لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الارض. وهو المروي عن ابن عباس، أي انهم قاسوا بالشاهد على الغائب.

٥- ان الله تعالى كان قد أعلم الملائكة انه اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء.

٦- ان الله سبحانه لما خلق النار خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا لمن خلقت هذه النار؟ قال: لمن عصاني من خلقي، ولم يكن يومئذ خلق غير الملائكة، فلما قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ عرفوا ان المعصية منهم، ولكن النصوص تؤكد انَ خلق الجن كان قبل خلق آدم ومن ذلك وجود ابليس يوم خلق آدم لانه من الجن.

وقد قال بعض الحشوية بجواز صدور الذنب من الملائكة واعتبروا قولهم هذا اعتراضاً على الله، وعدّوه من اعظم الذنوب. وقالوا بأن نسبة بني آدم الى القتل والفساد من الكبائر لانه غيبة لهم ولانهم مدحوا انفسهم بقولهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ .

ولكن صيغة الاعتراض لم تثبت في كلام الملائكة لاحتمال الوجوه الاخرى من مقاصد السؤال كما تقدم ولاستصحاب طاعتهم في المقام، ولم تثبت الغيبة في كلامهم اما لأن الناس لم يوجدوا بعد، ولاغيبة لمن لم يوجد، أو لان منهم من يكون متجاهراً بالفسق والفساد، او لأن الملائكة اطلعت على افعالهم. أو ان كلامهم جاء على سبيل منع حدوث الفساد وهل أن قيد وجود سامع يقصد اخباره منجز في المقام اذ انه ليس من مكلف يسمع القول فيه وجهان،الاقوى عقلا وشرعا صحة القيد .

وروي علي بن ابراهيم باسناده عن الامام محمد الباقر عليه السلام عن امير المؤمنين عليه السلام قال: ان الله

تعالى لما اراد ان يخلق خلقاً بيده وذلك بعد ما مضى من الجن والنسناس[1] في الارض سبعة آلاف سنة، فكشف عن اطباق السماوات، وقال للملائكة انظروا الى أهل الارض من خلقي من الجن والنسناس، فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي عظم ذلك عليهم، فقالوا ربنا انت العزيز القادر وهذا خلقك الضعيف يعيشون برزقك ويعصونك ولا تنتقم لنفسك، فلما سمع ذلك من الملائكة، قال اني جاعل في الارض خليفة يكون حجة في ارضي، فقالت الملائكة سبحانك تجعل فيها من يفسد فيها كما افسدت بنو الجان، فاجعل ذلك الخليفة منا فانا لا نعصيك ونسبح بحمدك ونقدس لك. فقال الله عز وجل ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اريد ان اخلق خلقاً بيدي واجعل من ذريته انبياء وعباداً صالحين وأئمة مهديين اجعلهم خلفاء على خلقي في ارضي، واطهر ارضي من النسناس وانقل مردة الجن العصاة عن خلقي واسكنهم في الهواء وفي اقطار الارض، واجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً، فقالت الملائكة: يا ربنا افعل ما شئت فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام فلاذوا بالعرش واشاروا بالاصابع، فنظر الرب اليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور، فقال: طوفوا به ودعوا العرش، فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون اليه ابداً. فوضع الله البيت المعمور توبة لاهل السماء ووضع الكعبة توبة لاهل الارض.

---

(١) النسناس: جنس من الخلق قيل ان الواحد منهم يثب على رجل واحدة. وهم على صور بني آدم يشبهونهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم ويرعون كما ترعى البهائم وقيل انهم انقرضوا.

الى ان قال: ثم قبض الله سبحانه وتعالى طينة آدم واجرى فيها الطبايع الاربع الريح والدم والمرة والبلغم، فلزمه من ناحية الريح حب النساء وطول الامل والحرص، ولزمه من ناحية البلغم حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق، ولزمه من ناحية المرة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة، ولزمه من ناحية الدم حب النساء واللذات وركوب المحارم والشهوات.

٧- ان معنى الخليفة عنه تعالى النائب في الحكم والقضاء مما يدل على وجود التنازع والخصومة، فيكون الاخبار عن وجود خليفة اخباراً عن حدوث الفساد والشر بالدلالة الالتزامية.

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ جملة حالية أي ان الملائكة قالوا باننا نسبح بحمدك حال تلبس الانسان بالمعصية. وفيها:

١- بيان لفعل الملائكة ومواظبتهم على التسبيح بدأب وتسليم.

٢- اخبار عن ان التسبيح والتقديس وعموم وجوه الطاعة تستحق الجزاء وان يتطلع صاحبها الى الثواب.

٣- ان الملائكة لم يذكروا خلق آدم من طين، ولم يحتجوا بان مادة خلقهم افضل منه.بمرتبة أو مراتب، اما لأن الملائكة تدرك ان أصل الخلقة لا مدخلية له في التفضيل، أو لعلمهم وتسليمهم بأن الله عز وجل يكرم من يشاء ويعز من يشاء من غير اثر للاصل، أو لانهم يجهلون أصل خلقهم، أو يعلمون انها مساوية أو ادنى في المرتبة من طينة آدم، والتعليل الاول والثاني مجتمعين هما الاقرب والانسب.

٤- الاعتراف الضمني بتفضيل الانسان في باب الخلافة في الارض وعمارتها بالهدى، وتلك مقدمة واشارة للتهيؤ والاستعداد للسجود لآدم. وفي الآية درس وتأديب للمؤمنين باجتناب السؤال عن علل الخلق واسرار الخليقة، والحكمة التي تجري في أهل الارض وما يصيبهم من الخير أو الاذى جماعات وأفراداً.

٥- انهم لما اطلعوا على ما يفعله بنو آدم من المعاصي وسفك الدماء تأسفوا وغضبوا لله ولم يملكوا غضبهم فقالوا ربنا انك انت العزيز الحكيم القادر الجبار القاهر العظيم الشأن، وهذا خلقك الضعيف الذليل يتقلبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يصنعون مثل هذه الذنوب ولا تأسف عليهم ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك علينا واكبرناه فيك، فلما سمع ذلك من الملائكة قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو المروي عن الامام علي عليه السلام[1].

ان استقراء الحوادث التي رافقت خلق آدم عليه السلام وما جاءت به الآيات القرآنية بخصوصه يظهر أهميته في عالم الخلق والكون، وانه يمثل انعطافاً كبيراً في حياة الخلائق وسراً من اسرار الوجود خاصة وان الله عز وجل أكرمه بالخلافة في الارض، وبه انكشفت بعض الحقائق (فالملائكة مثلاً طارت افئدتهم عندما خلقت النار، فلما خلق آدم سكنت افئدتهم، عن ابن طاوس عن ابيه)[2].

---

(١) مجمع البحرين ٣٧٨ طبعة حجرية

(٢) حلية الاولياء ٥/٤

خلافة الأرض:

الخليفة: الذي يستخلف ممن قبله أو يستناب من غيره وهو عنوان الامارة.ولقد اكرم الله عز وجل آدم بالخلافة في الارض والقى على عهدته ذلك التكليف العظيم.

لقد دأب المفسرون على القول بأن الخليفة الذي اراد الله عز وجل في قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾ هو آدم. ونسب ذلك الى ابن عباس وابن مسعود[١]. ولقد ورد لفظ (خليفة) في القرآن بقوله تعالى ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[٢] وورد بصيغة الجمع ﴿خلفاء﴾ ثلاث مرات[٣]، و﴿خلائف﴾ أربع مرات[٤].

مما يدل على ان المقصود تارة يكون:

١- نوع الانسان وان لفظ الخليفة أعم من النيابة، وان كان قد ورد بما يشبه هذا المعنى في داود عليه السلام فانه يحمل على المفهوم الاعم للانسان مطلقاً فان الخلافة عنده بما رزقه الله من العقل والتمييز به، والقدرة على اتيان الافعال مع الابداع، وامكانية الاستحواذ والتملك، وروح الارادة المقترنة بالقصد والادراك وترسيخ دعائم العبودية لله عزوجل وتعاهد ذكره في الارض.

٢- خصوص الفرد المؤمن الذي يحكم بما انزل الله عز وجل.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٤/١

(٢) سورة ص ٢٦

(٣) انظر سورة الاعراف ٦٩، ٧٤، النحل ٦٢

(٤) سورة الانعام ١٦٥، يونس ١٤، ٧٣، فاطر ٣٩

٣- أهل الايمان والتقوى الذين يعمرون الارض بالصالحات والهدى ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [1].

٤- ان تكون الخلافة نوعية شخصية كما في خلافة آدم.

٥- انها نوع اكرام خاص ورياسة عامة في امور الدين والدنيا، كما في خلافة داود بل وحتى خلافة آدم عليه السلام تدخل في هذا الوجه وليس من تعارض بين الوجوه الاربعة لمفهوم الخلافة، نعم يمكن اعتبارها وجوهاً وشعباً ومفاهيم للخلافة متفاوتة المراتب.

ويؤيد المعنى الاخص للخلافة منطوق الآية الكريمة من سورة ص وتعلق عنوان الخلافة بآدم مدة وجوده في الارض وحيداً مع حواء بالاضافة الى مجموع سني حياته باعتباره نبياً وأباً.

ان موضوع الخلافة مقام اكرام مؤبد فاز به آدم فكان حجة الله على الخلائق، ولابد ان آدم يحمل من التأهيل والملكة ما يجعله جديراً بهذا المنصب الرفيع بالاضافة الى اعتبار خلق الله عزوجل له بيده وانفراده في عمارة الارض ومن المستبعد ان يكون المراد بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، غير آدم أو انه يكفي في تحقق موضوع الآية أدنى تلبس فيه أو كما ورد صريحاً في داود عليه السلام[2]، وهذا الاستبعاد أو النفي أمر يدل عليه ظاهر الآيات القرانية والنصوص المستفيضة.

---

(١) سورة النحل ٦٢

(١) انظر سورة ص ٢٦

وقال قوم سمّى الله تعالى آدم خليفة لانه وذريته خلفاء الملائكة الذين كانوا سكان الارض[1]. ولكن اتصال عنوان الخلافة وتكراره في خصوص داود وعدم ثبوت اتخاذ الملائكة للارض مسكناً بنحو يصح معه موضوع الخلافة لهم، وعدم ورود القول عن المعصوم يجعل الخبر وموضوعه مستبعداً.

وان قلتَ اذا كان المقصود بالخلافة هو آدم فكيف يقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وآدم عليه السلام منزه عن الخطأ، نزل الى الارض بتوبته معصوماً، ولم يكن في وجوده قد سفك دماً.

قلتُ ان قولهم هذا لا ينافي حقيقة ان آدم هو الخليفة، اذ ان كلامهم كان مطلقاً ويتعلق بمن سيكون في الارض مستقبلاً، أي انه لم يكن عندهم استنكار أو استغراب لخلافة آدم ووجوده في الارض. وهذه النظرة لا تنحصر بآدم فقط بل انها تشمل عموم المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويتجنبون الاثم وكبائر الذنوب.

وبهذا التأويل منا يمكن رد القول الذي يعني ان الملائكة غفلت عن فضيلة القوى الغضبية والشهوية التي تؤدي الى الفساد وسفك الدماء اذا ما صارتا طائعتين للقوة العقلية. أي ان الملائكة كانت تعرف ذلك اصلاً وانما كانت تقصد بعض ذرية آدم من أهل المعاصي.

(وعن الاصبغ بن نُباته عن علي عليه السلام قال: هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم اني أمرت ان اخبرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا

(١) التبيان في تفسير القرآن ١٣٣/١

جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: فاني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل انا أُمرنا ان نكون مع العقل، حيث كان. قال: فشأنكما وعرج)[1].

وفي الحديث دليل على اهلية آدم عليه السلام للخلافة لما رزقه الله من التوفيق وحسن الاختيار، انه جزء من تركة كريمة خلّفها لعقبه يتوارثونها وينتفعون من بركاتها. وورد في الحديث ان العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يُرفع وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث. وفي الحديث دلالة على مفهوم الخلافة وما يصلح من وجوهها للوراثة وفق الحكمة الالهية في اكرام آدم وذريته عامة والانبياء خاصة.

معرفة الاسماء:

قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الاسماء: جمع اسم والمعنى اسماء المسميات بحذف المضاف اليه لدلالته، والاسم لفظ وضع للدلالة على جوهر او ذات او عرض وعنوان يرمز اليه بمعزل عن الزمان، وفي الاصطلاح المنطقي هو اللفظ الذي يمكن ان يخبر به وعنه وحده، ولا يدل بهيئته وصيغته على الزمان.

والاسم عنوان للتمييز والفصل بين الاشياء وللتنويه بالدلالة على المعنى، وقيل الاسم بمعنى الصفة.وازاء القول بانه مقحم كما في قول لبيد:

---

(١) الوسائل ٤٩٦/٢

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

قال بعضهم بان الاسم عين المسمى، ولكن الاسم يتبدل والمسمى لا يتبدل معه والعكس في الحدوث ممكن والاسم يتقدم أو يتأخر في وجوده عن المسمى، والشيء لا يتقدم على نفسه ولا يتأخر.واستدل الاشعرية بالاية في ان الاسم هو المسمى، لان الضمير في عرضهم عائد الى المسميات ولم يمر الا ذكرها (وقال مجاهد:عرض اصحاب الاسماء).

والكل: خلاف الجزء بل هو اسم يجمع الاجزاء، وهو لفظ عام يفيد الاستيعاب ويتقوم باجزائه التي تتناهى بدليل قوله تعالى (ثم عرضهم).

وعرضت الشيء عرضاً من باب ضرب: اظهرته وابرزته. وقال الزجّاج: العرض اصله في اللغة: الناحية من نواحي الشيء، فمن ذلك العرض خلاف الطول [1].

والانباء: الاعلام والاخبار واظهار الامر، واكثر القراء همزوا (أنبئوني) ونسب الى الاعمش ترك الهمز فيه، وهي لغة قريش التي تثبت الالف بين الهاء و الواو وبعض العرب يسقطها.

ان هذه الاية الكريمة وثيقة سماوية خالدة تؤكد ما لآدم من عظيم المنزلة وما رافقه منذ بداية خلقه من الشأن الرفيع والمقام السامي بين الخلائق عامة.

وفيها بيان وبرهان على استحقاق آدم واهليته للخلافة في الارض وافضليته على الخلائق. نعم ان هذا التفضيل لم ينله آدم الا بفضل واحسان منه تعالى، وكذلك كل النعم التي تنالها الخلائق منه تعالى اما مباشرة وابتداءً او بوجود

(١) التبيان في تفسير القرآن ١٣٨/١

الواسطة، أي ان التفضيل وان كان منه تعالى الا انه يبقى عنوان فخر ودليلاً على الاستحقاق ومناسبة الحكم للموضوع.

لذلك يمكن القول بان ذلك التفضيل كان نوعياً ويتعلق بالقدرة البشرية وامكانية الفهم والتلقي، كما تظهر الاية الكريمة مقام آدم عليه السلام في مراتب العلم خاصة وان الاية الكريمة جاءت في الاحتجاج على الملائكة ورداً على استفهامهم وبيان جانب من جوانب علة صيرورة آدم خليفة في الارض.

ومما لا يخفى ان في الآية بياناً لأهمية العلم واعتباره باباً للترجيح، وان آدم تلقاه مباشرة بينما علمت الملائكة الأسماء بالواسطة.

كما تؤكد الآية الكريمة ما في خلق آدم عليه السلام من بركات على الخلائق جميعاً.

وفي الاسماء التي علمها الله تعالى لآدم أقوال منها:

١- جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدنيا، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير[١].

٢- اسماء الملائكة واسماء ذريته. عن الربيع وعن ابن زيد[٢].

٣- القاب الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس يصلح لماذا، والحمار يصلح لماذا.[١].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٦/١

(٢) التبيان في تفسير القرآن ١٣٨/١

٤- روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الاية فقال:

الارضين والجبال والشعاب والاودية، ثم نظر الى بساط تحته، فقال وهذا البساط مما علمه.

ولا تعارض بين هذه الاقوال انما هي وجوه ومصاديق للآية الكريمة لما تتضمنه من اطلاق.

وعنه عليه السلام في الاية ايضاً قال: اسماء الاودية والنبات والشجر والجبال من الارض. وعن داود بن سرحان قال: كنت عند ابي عبدالله عليه السلام فدعا بالخوان فتغدينا، ثم دعا بالطست والدستشان [٢] فقلت جعلت فداك قوله تعالى ﴿وَعلم آدم الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ الطست والدستشان منه؟ فقال الفجاج والاودية واهوى بيده كذا وكذا.

٥- علمه الله اسماء كل شيء. عن الامام علي بن الحسين عليه السلام.

٦- علمه الله اسماء حججه عليهم السلام ثم عرضهم وهم ارواح على الملائكة.

ترى ما هي تلك اللغة التي تلقاها آدم من عند الله عز وجل رزقاً وكرامة وتشريفاً وحجة. قال الشيخ الطوسي: وظاهر الاية وعمومها يدل على انه علمه جميع اللغات، وبه قال الجبائي والرماني فاخذ عنه ولده اللغات، فلما تفرقوا، تكلم كل قوم منهم بلسان ألفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه).

---

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٦/١

(١) الدستشان /محل غسل اليد

ولكن القدر المتيقن المستفاد من ظاهر الاية هو تعليم آدم ما يصح به التعبير عن المعنى من الالفاظ المناسبة وباللغة التي اعتادها الملائكة وما يتخاطبون به، لذا لا يستبعد ان تكون تلك اللغة هي العربية فهي لغة اهل الجنان.

وقيل ان اللغات جميعاً انما سمعت من آدم، وعنه اخذت وهو قول يحتاج الى دليل او امارة خاصة وان الاستقراء التاريخي بخلافه، وفيه زيادة عن الحاجة وان كان كفضل منه تعالى على عبده ونبيه الذي خلقه بيده أمراً معقولاً وغير مستبعد.

وفي الآية الكريمة وتعليم آدم الاسماء اعجاز يتعلق بخلق آدم وما رزقه الله من ملكة حافظة، وفهم وادراك.

وقال البلخي: ويجوز ان يكون اخبره بذلك فوعاه في وقت قصير بعد ان تفضل سبحانه على آدم وعلى بني آدم عموماً بشرف تعليمه الاسماء.

لقد عرض سبحانه المسميات والذوات على الملائكة وابرزها اليها في احتجاج كريم وتوكيد لتفضيل آدم واظهار عجزهم عن ادراك اسرار الخليقة، وما فيها من آيات الحكمة وحسن التدبير.

ترى ماذا قالت الملائكة أو ادعت حتى خاطبهم الله عز وجل بخصوص أمر خبري يحتمل الصدق وما فيه خلافه، في ذلك عدة وجوه محتملة نذكر منها ما يتعلق بموضوع بحثنا.

١- ان كان الخليفة من الملائكة كان أهلاً لذلك ولم يفسد ولم يسفك الدماء بدلالة دأبهم على التسبيح والعبادة.

٢- اعتقادهم بالاعلمية والافضلية على الخلائق، ولم يكونوا يظنون ان هذا الانسان الذي خلقه الله عز وجل

بهيئته وحجمه واصل خلقته من الطين سينتزع منهم تلك الاولوية.

٣- لم يتوقعوا ان الله عز وجل يجعل خليفة في الارض، او اراد ذلك فهم الاجدر والانسب، وهذا آدم في خلقه، وذريته في افعالهم لم يؤثروا في ذلك التوقع او يلغوه.

٤- ان الذي قال ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ اثنان من الملائكة لا جميعهم، وليس من المستبعد ان يكون القائل بعضاً من الملائكة، ولغة الجمع في الخطاب (انبئوني) لا تدل على عموم الاستفهام منهم اذ يمكن مخاطبة الاثنين بلغة الجمع، والاقرب هو مخاطبة جميع الملائكة وان كان المستفهم منهم اثنين لبيان الحجة وعموم اللطف وسعة الرحمة.

ومما يؤيد ذلك ما روي عن احدهما - الباقر او الصادق - عليهما السلام: انه سئل عن ابتداء الطواف. فقال: ان الله تبارك وتعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام. قال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقال ملكان من الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ... ﴾ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عز وجل وكان الله تبارك وتعالى نوره ظاهر للملائكة. فلما وقعت الحجب بينه وبينهما علما انه سخط من قولهما، فقالا للملائكة: ما حيلتنا وما وجه توبتنا؟

فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة الا ان تلوذا بالعرش. فلاذا بالعرش حتى انزل توبتهما، ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما، واحب الله تبارك وتعالى ان يعبد بتلك العبادة فخلق

الله البيت في الارض، وجعل على العباد الطواف حوله، وخلق البيت المعمور في السماء[1].

لقد كان خلق آدم عليه السلام مناسبة ادركت فيها الخلائق ان الغيب لا يعلمه الا الله عز وجل، وان وظيفتهم جميعاً هي التسليم للقدرة الالهية المطلقة.

وبذلك يمكن تلمس بركة آدم ليس في الارض فقط بل وحتى في السماء وبين سكانها من الملائكة ذوي الشرف والرفعة والريادة في العبادة.

انه درس لبني آدم جميعاً لمنع المبادرة الى الاحتجاج عند ظهور ما فيه تفضيل للغير أو حصوله على المنافع الخاصة.

وآية في انه تعالى حكيم لا يصدر منه القبيح وانه لا يُسئل عما يفعل.

سجود الملائكة:

الملائكة خلق عظيم وكل واحد منهم آية وحجة تدل على عظيم قدرة الله تعالى وبديع صنعه، وليس لهم من عمل الا العبادة والتسبيح قال تعالى ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ولا يتخلل اوقاتهم على مر الازمان سكون أو قنوط أو وهن أو فراغ، دائبين باستبشار على العبادة والذكر مع احساس بالتقصير ازاء مقام الربوبية لما عرفوه من مقتضيات الشكر للخالق. عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما في السماوات السبع موضع قدم ولا بشر ولا كف الا وفيه ملك ساجد فاذا كان

(١) الجزائري / قصص الانبياء ٣٠

يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، الا انا لم نشرك بك شيئاً.

وفي الصحيفة السجادية[1] دعاء في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب ، يجسد عظيم خلقهم وكبير وظائفهم والمسالك المنتظمة لاعمالهم وعبادتهم.

وهيئات الملائكة مختلفة وبين بعضها البعض تباين كثير، ومن الملائكة ماتبلغ عظمته ما بين السماوات والارض، كما ورد في حديث الاسراء وعند السماء السابعة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثم رأينا ملكاً قد افترقت رجلاه من الارضين السفلى، وافترق رأسه من السماء السابعة العليا، غلظ كل جناح من اجنحته مسيرة خمسمائة عام. وما بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام للراكب المسرع، ومن لدن رأسه الى منتهى قدميه ممتلئ وجوهاً ونوراً، وفي كل جزء منه وجوه كثيرة يسبح كل لسان في هذه الوجوه بلغة اخرى. لا يشبه وجه وجهاً ولا لغة لغة ولا عين عيناً.

ليس فيه عين الا وفيه من البرق والنور ما لا يحصى. وفي جانب منه نور أحمر، وفي جانب نور أصفر، وفي جانب نور أخضر، وفي جانب نور أبيض وليس في جسده وفي اعضائه وريشه وبشرته وشعره جزء الا وهو يسبح بتسبيح آخر، فيخرج كل يوم من تسبيحه بعدد ما خلق الله من الملائكة يسبحون، لو اراد ان يلتقم السماوات والارض بلقمة واحدة لأطاق. لا يستطيع احد من الملائكة ان ينظر اليه من نوره، لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا الكروبيون.. ... الحديث.

---

(١) انظر بحوث الصحيفة السجادية للمؤلف / الجزء الثاني ٣٦ -٥٣

وفي وصف اسرافيل ورد عن ابن عباس انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان ملكاً من حملة العرش يقال له اسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه في الارض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا.

هؤلاء الملائكة على عظيم خلقهم ومنزلتهم القريبة من العرش، وتسبيحهم الدائم وطاعتهم المتصلة، توجه لهم الامر الالهي بالسجود لآدم ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

لقد جاء هذا التشريف العظيم والاكرام البالغ بعد ان تفضل سبحانه بخلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه. وتدارك الملائكة واعتذارهم وثبوت قصورهم عن الاحاطة بالغيب واسرار الحكمة في الخلق. لذلك ورد عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال: لما ان خلق الله آدم أمر الملائكة ان يسجدوا له، فقالت الملائكة في انفسها: ما كنا نظن ان الله خلق خلقاً اكرم عليه منا، فنحن جيرانه، ونحن اقرب الخلق اليه، فقال الله: ألم أقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون، فيما ابدوا من أمر الجان، وكتموا ما في انفسهم، فلاذت الملائكة الذين قالوا ما قالوا بالعرش (وورد مثل ذلك عن علي بن الحسين عليه السلام وزاد فيه: فلما عرفت الملائكة انها وقعت في خطيئة، لاذوا بالعرش وانها كانت من عصابة من الملائكة وهم الذين كانوا حول العرش

(١) سورة البقرة ٣٤

لم يكن جميع الملائكة الى ان قال عليه السلام: فهم يلوذون حول العرش الى يوم القيامة[١].

والسجود لغة الخضوع والتطامن والتذلل. وفي الاصطلاح وضع الجبهة على الارض عبادة وطاعة لله عز وجل.

ترى هل ان سجود الملائكة كان بهيئة نوعية واحدة كما هو سجود بني آدم أو ان سجود بعضهم يختلف عن سجود البعض الآخر. وكيف كان سجودهم هل جاء على المعنى اللغوي وهو الخضوع والانقياد والتذلل. اما على المعنى الاصطلاحي والشرعي وهو وضع الجبهة على الارض، أو مسمى السجود وما يرمز اليه من حركة أو فعل.

وظاهر الآية انه جاء بفعل السجود وبما يؤكد الخضوع والانقياد. الا انه لا يستبعد اختلاف سجود بعض الملائكة عن بعض لاختلاف هيئاتهم.

ولكن ولاستطاعتهم التلبس بأي هيئة يمكن القول ان سجودهم كان متشابهاً، والا فان السجود في القرآن ورد بالمعنى الاعم من وضع الجبهة على الارض، كما في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [٢]. وقوله تعالى ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٣].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١/ ١٦٣.

(٢) سورة النحل ٤٩.

(٢) سورة الرحمن ٦.

وورد في حديث عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الارض تكرمة من الله[1].

ولا تعارض بين ما قلناه من تعدد وجوه سجود الملائكة لآدم وبين مضمون حديث الامام عليه السلام لانه جاء لبيان ان تشريف واكرام آدم بلغ من الدرجة والرفعة ان وضع نفر من الملائكة جباههم على الارض وحيث المستوى الذي يقفون، الا ان يراد الجنس في الالف واللام في لفظ الملائكة الوارد في الحديث فيكون عندئذ مجموع الملائكة.

ترى ماذا يعني سجود الملائكة لآدم. ان الملائكة لا يعبدون الا الله عز وجل ويندرج سجودهم لآدم ضمن مصاديق عبادتهم لله عز وجل اذ انهم سجدوا له طاعة لله عز وجل وامتثالاً لامره بعد ان تفضل سبحانه واراهم الآيات في خلق آدم، وهو امر يدل على بلوغهم مقامات الكمالات النفسية فمع دأبهم على التسبيح والذكر آلاف السنين انقادوا للسجود للمخلوق الجديد مع ما يحمله معه من احوال ذريته وسوء فعلهم في الارض. ولم يكن الانقياد في مثل هذه الحال امراً هيناً لولا ملكة الطاعة والتزام العبادة وفي ذلك درس للمؤمنين وحجة على الناس في ضرورة اتيان الفرائض والعبادات بغض النظر عن العلة أو الحكمة فيها، وما يتخللها من مشقة أو جهد.

وقد ورد عن الامام علي الهادي عليه السلام ان السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وانما كان لله ومحبة منهم لآدم[1].

---

(١) الجزائري / قصص الانبياء ٣٩.

وهذا الحديث من جوامع الكلم ففيه بيان وتفصيل ودفع وهم. وقد جاء في تفسير علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يحيى بن أكثم [٢] ان موسى بن محمد سئل عن مسائل فعرضت على ابي الحسن علي بن محمد عليه السلام فكان احدها انه قال له اخبرني ان يعقوب وولده اسجدوا ليوسف وهم انبياء فأجاب ابو الحسن عليه السلام: أما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف انما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف، كما ان السجود من الملائكة لآدم كان طاعة لله وتحية لأدم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، الا ترى انه يقول في شكره في ذلك الوقت ربّ قد اتيتني من الملك.. ...الآية[٣] ومما عليه الاجماع انه لا يجوز السجود لغير الله على وجه العبادة لان ذلك شرك، اذن لابد من تأويل السجود في المقام وتفسيره بما يتناسب وهذه القاعدة الكلية ومن ذلك ان آدم كان قبلة لهم. (وكما روي عن الامام الحسن بن علي في تفسيره عن آبائه عن النبي محمد

---

(١) الجزائري / قصص الانبياء ٣٩.

(٢) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي أبو محمد (١٥٩- ٢٤٢) للهجرة يرجع في نسبه الى اكثم بن صيفي من حكماء العرب. ولاه المأمون قضاء البصرة ثم القضاء في بغداد ثم قدمه في تدبير المملكة وعندما جاء المعتصم عزله عن القضاء حتى رده المتوكل ثم عزله سنة ٢٤٠ واستولى على امواله. له مصنفات في الفقه وفي الاصول. ومناظرته مع الامام الجواد عليه السلام في مجلس المأمون في مسألة محرم قتل صيداً وجواب الامام عليه السلام وتحير يحيى مشهورة. قال بتحريم المتعة وسبب في تحريم المأمون لها. وقد ترجم ابن خلكان سيرته الشخصية.

(٣) الوسائل ٣٩٥/١ طبعة حجرية .

صلى الله عليه وآله وسلم قال: لم يكن له سجودهم، يعني الملائكة لآدم، انما كان آدم قبلة لهم يسجدون نحوه لله عز وجل وكان بذلك معظماً مبجلاً ولا ينبغي لأحد ان يسجد لأحد من دون الله، يخضع له كخضوعه لله ويعظمه بالسجود كتعظيمه لله [1] وبذلك قال أبو علي الجبائي وجماعة.

ومنها ان السجود في المقام كان بمعناه اللغوي أي الانقياد والخضوع لآدم وربما أيد ذلك مفهوم خلافة آدم في الارض، ولكن المتبادر من السجود هو وضع الجبهة على الارض بالاضافة الى انه ليس من انقياد وخضوع في الظاهر بين الملائكة وبين آدم وذريته، فكل له تكليفه ووظائفه.

ترى هل يمكن فهم معنى آخر للسجود غير مذكور قد يستفاد من رفض ابليس السجود لآدم وقيامه باغوائه وايذائه والتسبب باخراجه من الجنة بعكس الملائكة اذ واظبوا على اكرام آدم وذريته أي ان معنى السجود هنا هو الوفاق وكف الاذى واجتناب المكر؟ هذا ما لم يقل به احد من علماء الاسلام وليس له دليل أو مدرك وهو خلاف المفهوم والثابت والمتبادر، وانما طرحت هذا التساؤل هنا على طريقة الاستدلال غير المباشر ولاقامة الدليل على ان السجود من الملائكة كان فعلاً وخضوعاً.

ولقد كان موضوع سجود الملائكة باب ابتلاء للناس حيث احتج به المشركون في تعديهم الى عبادة الاصنام. بالاسناد عن الامام العسكري عليه السلام في احتجاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مشركي العرب انه قال لهم: لم عبدتم الاصنام من دون الله. قالوا: نتقرب بذلك الى الله. وقال

(١) الوسائل ١/ ٣٩٥ طبعة حجرية.

بعضهم ان الله لما خلق آدم وامر الملائكة بالسجود لآدم من الملائكة. ففاتنا ذلك فصورنا صورته فسجدنا لها تقرباً كما تقرب الملائكة بالسجود لآدم وكما أُمرتم بالسجود بزعمكم الى جهة مكة ففعلتم ثم نصبتم بايديكم محاريب فسجدتم اليها.فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اخطأتم الطريق وضللتم. الى ان قال: اخبروني عنكم اذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم له وصليتم ووضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي ابقيتم لرب العالمين، اما علمتم ان من حق من يلزم تعظيمه وعبادته ان لا يساوي بعبيده، ارأيتم ملكاً عظيماً اذا سويتموه بعبيده في التعظيم والخشوع والخضوع، ايكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير، قالوا: نعم، قال: افلا تعلمون انكم من حيث تعظمون الله تعظيم صور عباده المطيعين له، تزرون على رب العالمين الى ان قال والله عز وجل حيث امر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره، فليس لكم ان تقيسوا ذلك عليه، فانكم لا تدرون لعله يكره ما تفعلون اذ لم يأمركم به، ثم قال: ارأيتم لو أذن لكم رجل بدخول داره يوماً بعينه، كان لكم ان تدخلوها بعد ذلك بغير أمره، أو لكم ان تدخلوا داراً اخرى له مثلها بغير أمره، قالوا: لا، قال: فالله أولى ان لا يتصرف في ملكه بغير اذنه، فلم فعلتم ومتى امركم ان تسجدوا لهذه الصور.. ... الحديث[1].

ولقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيان موضوع السجود وانه طاعة لله وحال دون الفهم الخاطئ له

(١) الوسائل ١/ ٣٩٥ طبعة حجرية.

وما يترتب عليه من آثار في عبادات الناس ومعاملاتهم فيما بينهم، وسجودهم بعضهم للبعض الآخر مخالف للشريعة كما انه يؤدي الى اتخاذه صيغة معتادة في التودد الى الملوك والكبراء مما قد ينتج عنه حالة من الكبرياء والتجبر عند المسجود له، وذل وخضوع عند الساجد مقرون بالانقياد له. ونسيان ضرورة التوجه الى الباري عز وجل في العبادة.

وكان ذلك الجهاد على شعبتين الاولى تعليم الناس السجود لله وحده الهاً وخالقاً ومعبوداً، والاخرى النهي عن السجود لغير الله، واهم فرع في المقام هو نهي الناس عن السجود له صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه اشرف الكائنات وسيد المرسلين الامر الذي يؤكد للاجيال ان السجود لغيره من الناس والخلائق ايضاً لا يجوز لقاعدة الاولوية.

بالاسناد عن عبد الرحمن بن كثير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً قاعداً في اصحابه اذ مرّ به بَعير، فجاء حتى ضرب بجرانه الارض ودعا. فقال رجل: يارسول الله أسجدَ لك هذا البعير؟ فنحن احق ان نفعل. فقال: لا، بل اسجدوا لله، ثم قال: لو امرت احداً ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها. وفي رواية الحسن بن موسى الخشاب زاد ان هذا الجمل يشكو اربابه.

ولقد كانت صلة آدم عليه السلام مع الملائكة صلة ود ايماني خاصة وأن الله عز وجل انعم على آدم بتعليمه الاسماء كلها وفي العلل عن وهب قال: لما اسجد الله الملائكة لآدم عليه السلام وابي ابليس ان يسجد قال له ربه عز وجل: اخرج منها، ثم قال عز وجل: يا آدم انطلق الى هؤلاء

الملأ من الملائكة فقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فسلم عليهم. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فلما رجع الى ربه. قال له ربه تبارك وتعالى: هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك فيما بينهم الى يوم القيامة.

آدم وابليس:

ابليس اسم مشتق من التحير والندم والابتعاد عن الرحمة واليأس من النجاة، وهو اسم عربي وقيل انه أعجمي لا ينصرف، وفي حياة الحيوان وكنية ابليس ابو مرة.

وكان اسمه الحارث وبالعبرانية عزازيل، فلما صدرت منه المعصية سُمي ابليس. وكان ابليس مع الملائكة ويمتاز بالاجتهاد في العبادة. وعن الامام علي عليه السلام (انه قد عبد الله في ستة آلاف سنة لا يدري أمن سني الدنيا ام سني الاخرة)[1]. وقال الجزائري: وعلى هذا فلو كان من سني الآخرة لبلغ من السنين كثيراً [2] ولكن مدة السجود ذاتها أي ان مقدارها الزماني واحد بغض النظر عن كونها من سني الدنيا أو الآخرة، فلا يمكن ان يكون الوعاء الزمني لفعل شخصي واحد طويلاً وقصيراً معاً لان ذلك يلزم اجتماع النقيضين. كذلك فهناك تأمل ونظر يرد على بعض المفسرين للاستدلال الذى ذهبوا اليه بان يوم القيامة هو المقصود بقوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.

---

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده ١٣٩/٢.

(٢) قصص الانبياء ٤١.

ولكن المقصود من عدم معرفة ابليس للوعاء الزماني لسجوده، انه كان منقطعاً الى العبادة ولم يلتفت الى احوال الزمان وتغيراته وانه كان في مأمن وانشغال محترزاً بالتقوى والنسك لا يبالي بما يحدث حوله.

وفي ابليس وهل انه كان من الملائكة أو لا ذكرت اقوال منها:

١- ما روي عن طاووس [١] ومجاهد عن ابن عباس ان ابليس كان قبل ان يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض، وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن، ولم يكن من الملائكة اشد اجتهاداً ولا اكثر علماً منه، فلما تكبر على الله وابى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطاناً وسماه ابليس[٢].

٢- ما روي عن ابن عباس انه قال: ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي ابليس، وكان صغيراً، فكان مع الملائكة فتعبد معها بالامر بالسجود لآدم فسجدوا وابى ابليس فلذلك قال الله تعالى: ﴿الا ابليس كان من الجن﴾.

٣- قالت طائفة انه من الملائكة، واختلفوا في منزلته وعمله هل كان خازناً للجنان أم له سلطان السماء وسلطان الارض أم كان يسوم ما بين السماء والارض.

٤- عن الحسن البصري وقتادة ان ابليس لم يكن من الملائكة وأن الاستثناء في الآية ﴿الا ابليس﴾ استثناء منقطع.

---

(١) طاووس بن كيسان مولده في اليمن وأصله من الفرس، فقيه تابعي، ابى القرب من الملوك والامراء وكان يعظهم، مات حاجاً بمكة سنة ١٦٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ٨٣/١.

٥- ما ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، عن جميل بن دراج قال سألته عن ابليس أكان من الملائكة أو كان يلي شيئاً من امر السماء؟ فقال عليه السلام لم يكن من الملائكة، وكانت الملائكة ترى انه منها، وكان الله يعلم انه ليس منها ولم يكن يلي شيئاً من امر السماء ولا كرامة، فاتيت الطيار فأخبرته بما سمعت فأنكر، وقال: كيف لا يكون من الملائكة؟ والله يقول للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس، فدخل عليه الطيار، فسأله وانا عنده، فقال له، جعلت فداك قول الله عز وجل: ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ في غير مكان مخاطبة المؤمنين: ايدخل في هذه الكفار؟ فقال عليه السلام: نعم يدخلون في هذه المنافقون والضلال، وكل من أقر بالدعوة الظاهرة.

كما روي عنه عليه السلام ايضاً في حديث قيل له: كيف وقع الامر على ابليس، وانما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال عليه السلام: كان ابليس منهم بالولاء، ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك ان الله خلق خلقاً قبل آدم، وكان ابليس فيهم حاكماً في الارض، فعتوا وافسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة فقتلوهم واسروا ابليس ورفعوه الى السماء، وكان من الملائكة يعبد الله الى ان خلق الله تبارك وتعالى آدم.

وهل ان اصل ابليس من الجن كان علة عدم السجود أم انه ورد على سبيل النعت وبيان الاختلاف، وهل هناك من الملائكة أو ممن سجد معهم اصله من الجن ولكنه استجاب لامره تعالى في السجود لآدم ذلك ان الجن منهم الصالح ومنهم غير ذلك بخلاف الملائكة فليس فيهم الا المطيع

لله الصادع بأمره، وايـاً كان الامر فأن اختلاف السنخية والجنس بينهما له اثر في نوع الاستجابة، وان الجن وان اجتهد في العبادة فانه لا يرقى الى منزلة الملائكة الروحانيين. نعم يمكن ان يصدق عليه انه بذل الوسع واجتهد بالقياس الى سنخيته وماهيته.

لقد ذم الله عز وجل ابليس واوعده العذاب الاليم ونعته بالكفر بقوله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾ أي صار من الكافرين، اذ ان العرب تاتي ببعض هذه الافعال مكان بعض استعارة لما بينها من التقارب والتشابه في المعنى، ويتعلق الفعلان بالانتقال من حال الى حال. ومن الشواهد، ما ورد في التنزيل: ﴿وفتحت السماء فكانت ابواباً، وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾[1].

لقد فتح ابليس باباً من الجحود والمعصية اتصل أثره ببني آدم على وجه الافتتان والابتلاء بالاغواء والمماثلة والمحاكاة السلبية من النفوس ذات الاستعداد للرذيلة والمعصية، لذا ورد عن ابي بصير عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان أول من كفر بالله حيث خلق آدم كفر ابليس حيث رد على الله أمره. وفي الكافي سئل عن الكفر والشرك ايهما أقدم؟ فقال: الكفر أقدم، وذلك ان ابليس اول من كفر، وكان كفره غير شرك، لانه لم يدع الى عبادة غير الله، وانما دعا الى ذلك بعد فأشرك.

واستدل بعض المفسرين بذلك على ان افعال الجوارح من الايمان، وقال: لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمناً بما معه من المعرفة بالله تعالى وان فسق بابائه.

---

(١) سورة النبأ ١٩-٢٠.

ولكن الامر توجه لابليس ليجسد طاعته بفعل الجوارح خارجاً، سيما وان هذا الفعل لابد وان يسبقه قبول ذهني واستعداد للاستجابة، او ابداء واستكبار ذاتي يحول دون ادائه.

لذا ورد في الحديث ان ابليس كان بانياً على عدم السجود لآدم اذا دعي اليه اثناء مدة تصوير آدم، أي ان نفسه كانت تنازعه بروح الاستكبار وان الله عز وجل لما خلق ادم بقي سنة مصوراً، وكان يمر به ابليس اللعين، فيقول لامر ما خلقت، ويقول لئن امرني الله بالسجود لهذا لعصيته، فلما قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا واخرج ابليس ما كان في قلبه من الحسد فابى ان يسجد.

ان في جحود ابليس ومعصيته موعظة وعبرة للناس وانذاراً ذا شعبتين، الاولى اجتناب المعصية وضرورة المبادرة الى الاستجابة لامره تعالى، والثانية التحذير من كيد الشيطان ومكره وحيله وما يسعى اليه من اغواء بني آدم واضلالهم بعد ان اكرمهم الله عز وجل وفضلهم.

لقد اعتمد ابليس القياس في اصل الخلقة وضل واخطأ في ما بنى عليه قراره ، لذا ورد عن الامام الصادق عليه السلام: ان دين الله لا يصاب بالعقول، بل ان اصل الخلقة الذي اتخذه علة للترجيح ذاته هو علة لترجيح وتفضيل آدم ان كان له اثر في التفضيل. لان النار التي خلق منها ابليس ترجع الى الطين ولكن بالواسطة فقد ورد عن اسحاق بن جرير قال قال ابو عبد الله الصادق عليه السلام: أي شيء يقول اصحابك في قول ابليس خلقتني من نار وخلقته من طين. قلت: جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه. قال: كذب يا

اسحاق ما خلقه الله الا من طين، ثم قال، قال الله: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون﴾ خلقه الله من ذلك النار من تلك الشجرة والشجرة اصلها من طين.

لقد شاء الله عز وجل ان يكون ابليس واغواؤه باباً للافتتان وسبباً لمباشرة الاثام والذنوب، والتحصن منه والتصدي له سبيلاً الى الجنة، انه امتحان الدنيا وميدان الصراع بين قوى الخير والصلاح من جهة وقوى الشر والسوء من جهة اخرى.

مع ظهور العون والمدد الالهي واضحاً. عن ثابت البناني قال: بلغنا ان ابليس قال: يارب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه. فقال سبحانه: جعلت صدورهم مساكن لك. فقال: رب زدني، فقال: لا يولد ولد لآدم الا ولك عشرة، فقال:رب زدني، فقال: تجري منهم مجرى الدم، فقال: رب زدني، فقال: اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد، قال: فشكى آدم الى ربه، فقال: يارب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته عليّ وانا لا اطيقه الا بك، فقال الله تعالى: لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء، قال: رب زدني، قال: لا احجب عن احد من ولدك التوبة مالم يغرغروا، والغرغرة تردد الروح في الحلق.

لقد امر الله عز وجل ابليس ان يسجد لآدم وهو يعلم انه لن يسجد ولو شاء تعالى ان يسجد ابليس لآدم لسجد، ولكنه سبحانه امره ولم يشاء، انها ارادة عزم وليس ارادة حتم.

لقد أخطأ ابليس في اعتماد الماديات وحدها في القياس، ولم ياخذ بنظر الاعتبار ما هو اسمى، مما يتعلق بالجوهر وعالم المجردات، ان آدم بشر أي جسم كثيف يحل في مكان ويباشر وينفعل بعكس الملائكة الروحانيين ذوي الاجسام اللطيفة، ولكن الروح حل به بقوله تعالى: ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [1] وفي ذلك تشريف واكرام اضافي لآدم، لذلك ترى في الاية السجود يتعقب مباشرة نفخ الروح في آدم من غير تراخ.

لقد شاء الله عز وجل ان يكون آدم في احسن تقويم وذلك لا يتعلق بالهيئة والصورة فقط بل انه شامل لماهية الانسان وبديع صنعه ولا يزال العلم قاصراً عن تحديد معالم الانسان من حيث الخلقة.

روي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: اول من قاس ابليس قال: خلقتني من نار وخلقته من طين ولو علم ابليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه. ثم قال: ان الله عز وجل خلق الملائكة من نور وخلق الجان من النار، وخلق الجن صنفاً من الجان من الريح وصنفاً من الماء، وخلق آدم من صفحة الطين ثم اجرى في آدم النور والنار والريح والماء، فبالنور ابصر وعقل وفهم، وبالنار اكل وشرب، ولولا النار في المعدة لم تطحن المعدة الطعام، ولولا ان الريح في جوف بني آدم تلهب نار المعدة لم تلهب، ولولا ان الماء في جوف ابن آدم يطفي حر المعدة لاحرقت النار جوف ابن آدم،

---

(١) سورة الحجر ٢٩.

فجمع الله ذلك في آدم لخمس خصال، وكانت في ابليس خمسة فافتخر بها [١].

حواء:

يعتبر خلق حواء آية إلهية وسراً من اسرار الخلق والنشأة الاولى وهو دليل حاضر على بديع صنعه تعالى، فبخلقها كتب للانسان البقاء في الارض احقاباً و احقاباً، يعمرها ويملأ اطرافها باختلاف في المشارب وتعدد في المذاهب والرغائب، وتفشي الكبر والتفاخر. مع ان موضوع خلق حواء باب لنبذ الكبر ودعوة للالفة والتواضع بادراك حقيقة ان الناس جميعاً من شخص واحد، وبخلاف آدم فان حواء لم تذكر في القرآن باسمها،بل بالصفة في قوله تعالى: ﴿و قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة﴾[٢] نعم قد يمكن استفادة اسمها من عمومات ومصاديق قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾.

ترى لماذا سميت حواء. هنالك وجوه:

١- لانها خلقت من حي وهو آدم، أي انها لم تخلق من الطين مباشرة بل خلقت من ضلع آدم. فقد روي ان الله تعالى القى على آدم النوم واخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء.واستشهد على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها.

---

(١) قصص الانبياء ٢٨.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

٢- لانها أم كل حي. وعن التوراة: سمى آدم زوجته حواء لأنها أم كل حي ناطق[١].

٣- لان فيها الحياة أي انه لولا حواء أماً ووعاء لما انجب الاولاد والبنات وكان التكاثر في الناس، وفي التنزيل: ﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي

خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾[٢] وقد اجمع المسلمون على ان النفس الواحدة هو آدم عليه السلام.

٤- والقائلون بأن حواء خلقت من آدم احتجوا بظاهر الاية وببعض النصوص تقدم بعضها، ورد عن ابن عباس انه قال انما سمي آدم بهذا الاسم لانه تعالى خلقه من اديم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها، فلذلك كان في ولده الاحمر والاسود والطيب والخبيث، والمرأة انما سميت بحواء لانها خلقت من ضلع من اضلاع آدم فكانت مخلوقة من شيء حي، فلا جرم انها سميت حواء[٣]. وقيل لما دخل آدم الجنة اخرج منها ابليس ولعن وطرد فاستوحش، فخلقت ليسكن اليها، فقالت له الملائكة تجربة لعلمه: ما اسمها؟ قال:حواء، قالوا: لم سُميت حواء؟ قال: لانها خلقت من شيء حي. وقيل سميت امرأة لانها خلقت من المرء. كما ورد في تفسير العياشي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال: (خلقت حواء من قصير جنب آدم، والقصير هو الضلع الاصغر وابدله الله فكان لحماً)، وما اثبته الطب الحديث من عدم وجود نقص في اضلاع الرجل لا يعني

---

(١) عن التوراة النسخة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م.

(٢) سورة النساء ١.

(٣) الرازي /تفسير مفاتيح الغيب ١٦١/٩.

بالضرورة عدم صحة القول لاحتمال التأويل والاختلاف والخصوصية في خلق آدم عليه السلام.

٥- قوله تعالى: ﴿خلق منها زوجها﴾ أي من جنسها، وهو اختيار ابي مسلم الاصفهاني، وهي كقوله تعالى: ﴿ والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً وقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيكم رسولاً من انفسكم﴾.

اقول: ان الجعل والبعث في الآيتين اعلاه غير الخلق، ففي الخلق عناوين الايجاد والصناعة والابداع والحدوث بعد العدم.

٦- ما ورد بان حواء خلقت مما فضل وزاد من طينة آدم. عن عمر بن ابي المقدام عن ابيه قال سألت ابا جعفر عليه السلام من أي شيء خلق الله حواء، فقال أي شيء يقولون هذا الخلق؟ قلت يقولون: ان الله خلقها من ضلع من اضلاع آدم. فقال: كذبوا، كأن يعجزه ان يخلقها من غير ضلعه. فقلت: جعلت فداك يابن رسول الله فأي شيء خلقها؟ فقال: اخبرني أبي عن آبائه، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: ان الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم وفضلت من الطين فضلة فخلق منها حواء.

٧- انها خلقت من آدم ولكن من غير ذكر للضلع، كما ذكر العياشي عنه عليه السلام: ﴿خلقت حواء من جنب آدم وهو راقد﴾.والجنب الناحية، وجنب الانسان -بالفتح والسكون- ما تحت ابطه الى كشحه. ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث الضلع اذ ان الجنب أعم من الضلع .-

٨- الاطلاق في نسبة خلق حواء من آدم لما رواه ابو علي الواسطي قال ابو عبدالله عليه السلام ان الله خلق آدم من الماء والطين فهمة ابن آدم من الماء والطين، وان الله خلق حواء من آدم فهمة النساء من الرجال فحصنونهن في البيوت.

ان ما يعتبر مهماً في المقام ويستحق البحث هو كيف ولجت الروح حواء هل ان الله عز وجل نفخ فيها من روحه كما فعل في اكرامه لآدم، ام لا؟ واذا كانت حواء قد خلقت من الطين مباشرة من غير واسطة فهل جعل الله فيها الروح بوجه خفي علينا وبصورة تقل درجة عن صيغة اكرامه لآدم عليه السلام خاصة على القول بان النفس غير البدن وبغض النظر عن الاختلاف في نوع ارتباطها بالبدن، هل انها متعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصرف، او انها اتحدت بالبدن فصارت عين البدن.

وموضوع النفخ من روحه تعالى لم يرد في القران الا بخصوص آدم وعيسى عليهما السلام ولكن ذلك لا يعني عدم النفخ في خلق حواء. اذ ان السكوت لا يعني النفي.

نعم قد يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿وخلقنا منها زوجها﴾ أي ان خلق حواء لم يكن أمراً مستقلاً او جاء مباشرة من غير واسطة، والاية تؤكد تلك التبعية في الخلق والايجاد حتى على القول بان الانسانية ناتجة عن تداخل وامتزاج وتفاعل العناصر الاربعة او على القول بانها اجسام تحمل صفة الحياة والقدرة والعلم.

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام ان الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم، وعيسى عليه السلام

من غير اب، ليعلم انه قادر على ان يخلق من غير أب وأم، ومن غير أب، كما انه قادر على ان يخلق منهما.

و(من) تفيد التبعيض اى ان الحديث لا يتعارض مع ما سبق .

وقوله عليه السلام: (انه قادر على ان يخلق منهما) أعم من التكاثر بالولادة بل هو متعذر في المقام فلابد من البدائل التي تدخل جميعها في الامكان كذلك هل يجوز حصر قوله تعالى: ﴿خلق منها زوجها﴾ في البدن، هذا بعيد خاصة وان العرب كانت لا تفرّق بين الروح والنفس.

لقد صاحبت حواء آدم عليه السلام في حياته، وكان لها تاثير كبير في مواجهة مشاق الحياة على الارض وتحمل اعباء الكدح والعمل فيها بالاضافة الى اعانتها لآدم عليه السلام في اعداد الاولاد.

بل كان لها ذكر في علل الشرائع ونوع الاحكام.فلما سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام لم صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين؟ قال: من قبل السنبلة، كان عليها ثلاث حبات، فبادرت اليها حواء فأكلت منها حبة واطعمت آدم حبتين، فمن اجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الانثيين كذلك ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: كيف صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين. قال: لان الحبات التي اكل منها آدم وحواء في الجنة كانت ثمانية عشر، اكل آدم منها اثنتى عشرة حبة، واكلت حواء ستاً فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين.

ولا تعارض بين الحديثين من حيث مقدار الاكل لاحتمال تعلقه بالسنبلة وما تحتويه.

ولقد قامت حواء باعباء المنزل فعجنت وخبزت وطبخت بل انها غزلت ونسجت. وعاشت حواء بعد وفاة آدم سنة، ولما ماتت دفنت معه.

نفخ الروح:

سيبقى خلق آدم سراً من اسرار الكون يتضمن عزاً وفخراً للناس جميعاً كجنس شرفه الله عز وجل بالنفخ فيه من روحه وفي ذلك توكيد بان الله عز وجل خلق الانسان وجعل له خصوصية تميزه عن المخلوقات الاخرى اكراماً وتشريفاً، وقد ذكر موضوع النفخ في ثلاثة مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[1] وقيل ان الروح في المقام هو سبب الحياة، وهذا صحيح ولكنه وجه ومعنى من معاني الروح بدليل ان الانسان يشترك مع سائر الحيوانات في الجنسية بمعناها الاعم ولكنه ينفصل عنها بصفات تعزله وتميزه ولا يعني هذا بالضرورة تعلق تلك الصفات بالروح فقط فلا بد ان يرتبط بعض منها باصل الخلق والتكوين كما تدل عليه الدراسات الطبية الحديثة في علم التشريح، وان كان الامر يرتبط بالروح من حيث الاستعداد والانفعال والوعاء المناسب وملائمة مزاج واحوال الطبع.

لقد كان النفخ عنواناً لافاضة النفس المدركة المنبعثة بالحياة على الجسد وفي قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ قيل ان النفس لما كانت جوهراً مجرداً لا متميزة ولا حالة في المتحيز حسن لذلك نسبتها الى الباري لانها اقرب من الجثمانيات.

---

(١) انظر سورة الحج ٢٩، السجدة ٩، ص ٧٢.

وتلك النسبة لا تعني العائدية لان الله تعالى لا ينفعل ولا يتأثر ولا جزء له ولكن ذلك لا يمنع من القول بان الروح جوهر مجرد. وستبقى الروح آية ورحمة من عند الله، ولم تحل بآدم الا بامره تعالى: ﴿كن فيكون﴾.ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾[1].

وآخر الاية لا يدل على العجز عن ادراك بعض الحقائق عن الروح خاصة تلك التي يمكن استفادتها من ايات القرآن والسنة النبوية الشريفة.

ومما يدل على ما في الاية الكريمة اعلاه من الاعجاز وقوف الفلاسفة والمفكرين عاجزين عن ادراك كنه حقيقة الروح، مع اقرار علماء الملل والمذاهب المختلفة بوجودها بتركيب الانسان وتكوينه وانها باقية بعد فناء البدن. وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: خلق الله الارواح قبل الاجساد بألفي عام.

آدم والجنة :

قال تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[2].

تدل الاية على عظيم منزلة آدم وما ناله من التوقير والتشريف بعد مرحلة الاكرام السامي بسجود الملائكة له،

---

(١) سورة الاسراء ٨٥.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

التي تدل على الابتداء وسكن آدم الجنة يدل على اتصال ودوام ذلك الاكرام. ووجود حواء في الجنة برفقة آدم. اما بفضل منه تعالى خال من أي استحقاق او بسبب اهليتها واستحقاقها، او جزء من اكرامه تعالى لآدم. او لحكمته تعالى في خلق زوجين اثنين وتناسل بني آدم، او كان لبيان الحجة في اكل الابوين معاً من الشجرة دون احدهما،او لعلل اخرى ، متداخلة او مستقلة

واختلف في الجنة التي سكنها آدم وحواء على اقوال:

١- انها جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها.مع جواز وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يبلغهما كلامه.

ذهب الى هذا القول الحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة وجماعة من المفسرين. ورداً على من قال بان الذي يدخل جنة الخلد لا يخرج منها، قالوا: بان ذلك يكون عند استقرار اهل الجنة فيها ثواباً وجزاءً.

٢- هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد، لان جنة الخلد اكلها دائم، ولا تكليف فيها، واستشهد بقوله تعالى حكاية عن ابليس: ﴿هل ادلك على شجرة الخلد﴾[1].

٣- انها من جنات الدنيا، أي الجنة بمعناها اللغوي وهو البستان من النخل والاشجار الكثيفة التي التفت اغصانها ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه، قال ما اظن ان تبيد هذه ابداً﴾[2].

---

(١) سورة طه ١٢٠.

(٢) سورة الكهف ٣٥.

وهذا القول وارد عن اهل البيت عليهم السلام. فقد سئل الامام جعفر الصادق عليه السلام عن جنة آدم، فقال: من جنات الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الاخرة ما خرج منها ابداً. وفي رواية ولو كانت من جنات الاخرة لم يدخلها ابليس وما خرج منها آدم.

ان في قوله تعالى: ﴿حيث شئتما﴾ اكراماً اضافياً لآدم لما فيه من حرية الاختيار والحركة وتناول الثمار ومطلق الطيبات، والحيث مرادف للتحيز واعم من الاين.

بل يمكن القول بان الاكرام يتعدى في عموماته ليشمل بني الانسان جميعاً وفيه بشارة وامل للمؤمنين في دخول الجنة ولكن ليسكنوها بصورة مؤبدة لان ذلك السكن جاء ثواباً وبعد مدة الابتلاء، فوجود آدم في الجنة وان كان لساعات هو فخر للبشر وتفضيل وفيه عبرة وموعظة وحجة، وبيان لعظيم كرمه تعالى.

والظاهر ان الامر في قوله تعالى: ﴿اسكن انت وزوجك الجنة﴾ امر اباحة خاصة وانه خال من المشقة والتكليف.

ولم يلبث آدم طويلاً في الجنة لما وسوس اليه ابليس وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: انما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى اخرجا منها سبع ساعات من ايام الدنيا حتى اهبطهما الله من يومهما ذلك.

وعن تفسير العياشي عن عبد الله بن سنان قال: سئل ابو عبد الله عليه السلام وانا حاضر كم لبث آدم وزوجته في الجنة حتى اخرجهما الله منها؟ فقال ان الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من أسفل اضلاعه ثم اسجد له ملائكته واسكنه جنته

من يوم ذلك، فوالله ما استقر فيها الا ست ساعات في يومه ذلك حتى عصى الله فاخرجهما الله منها بعد غروب الشمس وما باتا فيها، وصيرا بفناء الجنة حتى اصبحا فبدت لهما سوأتهما وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة، فاستحيى آدم من ربه وخضع وقال: ربنا ظلمنا انفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا. قال الله لهما: اهبطا من سماواتي الى الارض فاني لا يجاورني في جنتي عاص ولا في سماواتي.

الشجرة:

قال تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ انه نهي مولوي بعدم الاقتراب من شجرة معينة معروفة عند آدم وحواء، وفسر الاقتراب هنا بالاكل فقد ورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة يعني: لا تأكلا منها.

ولا يمنع هذا من من فهمه بالتحذير من الاقتراب والدنو من تلك الشجرة باعتبار ان الاقتراب مقدمة عقلية للاكل او ان الاقتراب يسهل الافتتان ويجعل ابليس يطمع في الاغواء واظهار المكر.

انها بداية التكليف الذي شاء الله ان يكون ملازماً للانسان حتى موته واختلف في طبيعة النهي وحكمه، هل هو نهي تحريمي او تنزيهي، وعندنا انه تنزيهي وندب، وربما يؤيده ان ثمار الجنة التي اعد الله ليس فيها ما هو محرم.

لقد ترك الاولى وما فيه من نفع ودوام النعم، ويمكن ان يكون وجهاً من وجوه الظلم ومصداقاً في ادنى مراتبه لقوله تعالى: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ باعتبار انه نوع من الغفلة، في الحديث: ان الظلم ثلاثة، ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك،

وظلم مغفور لا يطلب، فاما الظلم الذي لا يغفر فهو الشرك بالله تعالى، واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد لنفسه عند بعض الهنات، يعني الصغيرة من الزلات، واما الظلم الذي لايترك فظلم العباد بعضهم بعضاً.

واختلف في الشجرة التي نهى الله عز وجل آدم وزوجه عن الاقتراب منها اقوال:

١- انها شجرة الكافور، روي ذلك عن الامام علي عليه السلام

٢- انها السنبلة، روي عن ابن عباس

٣- هي الكرمة، عن ابن مسعود والسُدي

٤- هي التينة، عن ابن جريج

٥- هي شجرة العلم، علم الخير والشر، عن الكعبي، وهو مطابق لما ذكر في التوراة (سفر التكوين ٢). ان الله خلق آدم وجعله في جنة عدن وامره ان يأكل من جميع الاشجار الا شجرة المعرفة، معرفة الخير والشر، فقد نهاه عنها، وانذره بانه لو اكل منها موتاً يموت.

٦- هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة، عن ابن جذعان.

٧- انها شجرة العلم، شجرة علم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله الذين آثرهم الله عز وجل به دون سائر خلقه، فقال تعالى: ﴿لا تقربا هذه الشجرة﴾ شجرة العلم فانها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم، ولا يتناول منها بامر الله الا هم.. ... الحديث

وورد تفسير وبيان لموضوع الشجرة يمكن اعتباره من جوامع الكلم ويدل ما يتضمنه علم التفسير والتأويل

من السعة وامكان التعدد ضمن ابواب المعرفة الالهية. فبالاسناد عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي انها الحنطة، ومنهم من يروي انها العنب، ومنهم من يروي انها شجرة الحسد، فقال عليه السلام: كل ذلك حق، فقلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا ابن الصلت، ان شجرة الجنة تحمل انواعاً، وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، وليس كشجرة الدنيا.

ويظهر موضوع الشجرة واكل آدم منها عظمة الاسلام وصدق النبوة واعجاز القرآن وسلامة النهج التفسيري لعلماء الاسلام في مواجهة ما اصاب الاديان الاخرى من الغلو والتحريف، فالنصارى مثلاً اعتبروها (الخطيئة الاصلية) وان الناس ظلوا ملوثين بها ويعانون من تبعاتها وآثارها من الشقاء والبلاء الى ان انعم الله عليهم بابنه الوحيد اذ فداهم بنفسه من غضب الباري عز وجل.

لقد اكد القرآن انتهاء موضوع الاكل من الشجرة بالهبوط الى الارض وانعدام تبعاتها بالتوبة، وفي ذلك بيان لحقيقة سعة رحمة الله تعالى وواسع مغفرته أي ان النصارى بقولهم باتصال اثار الاكل من الشجرة على اجيال بني آدم حتى فداء المسيح قد اخطئوا في المبنى ونسوا الحقيقة والاصل الثابت وهو ان الله عز وجل يتوب على العبد بالاستغفار ويرضى بالقليل قال تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم﴾[1].

(١) سورة البقرة ٣٧.

وورد (عن أبي جعفر عليه السلام في الآية انه قال: لما بلغ الوقت الذي في علم الله ان يأكل منها فنسيّ فأكل منها)[١].

ومن اسمائه تعالى (التواب) أي الراجع على عباده بالمغفرة ومحو الذنوب.

لقد كانت توبة الله تعالى على آدم وقبول انابته وغفران زلته صريحة وفضلاً منه تعالى، لتبدأ مرحلة الخلافة في الارض وشرف النبوة والدعوة الى الله تعالى في الارض وعمارتها المقترنة بالعبادة والذكر والاستغفار الذي ادرك الناس اهميته وضرورته باتخاذ آدم له سبيلا لعفوه تعالى ورضاه، وللأولوية او المماثلة فالسلاح الذي احتاجه ابو البشر الذي خلقه الله عز وجل بيده واسكنه جنته، لابد ان يحتاجه أبناؤه لذلك ورد في الحديث ان الدعاء سلاح الانبياء.

واختلف في وجه اكل آدم من الشجرة على اقوال:

١- ان معاصي الانبياء لا تقع الا سهواً، فاما مع العلم بانها معاصي فلا تقع، عن الجبّائي

٢- انه وقع من آدم اكل الشجرة خطأ لانه كان نهياً عن جنس الشجرة، فظن انه نهي عن شجرة بعينها فاخطأ في ذلك. نسب الشيخ الطوسي هذا القول الى قوم.[٢].

٣- ان الاكل وقع من آدم عمداً وهو من الصغائر كما انه حدث قبل التكليف والهبوط الى الارض.

و لابد هنا من اضافة مسألة وهي تعلق الاكل باصل النهي من جهة كونه نهياً تنزيهياً وليس تحريمياً.

---

(٢) تفسير الميزان ١٤٤/١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢١٧/٧.

وفي العلل والامالي بالاسناد عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: جاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فسألوه عن مسائل، فقالوا: اخبرنا عن الله لاي شيء وقت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على امتك في ساعات الليل والنهار فاجاب ... الى ان قال: واما صلاة العصر فهي الساعة التي اكل فيها آدم من الشجرة، فاخرجه الله من الجنة؟ فامر الله ذريته بهذه الصلاة الى يوم القيامة واختارها لامتي فهي احب الصلوات الى الله عز وجل واوصاني ان احفظها من بين الصلوات. واما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله تعالى فيها على آدم، وكان بين ما اكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من ايام الدنيا، وفي ايام الآخرة يوم كألف سنة، من وقت صلاة العصر الى العشاء، فصلى آدم ثلاث ركعات، ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حواء، وركعة لتوبته، فافترض الله عز وجل هذه الثلاث ركعات على امتي ثم قالوا: فاخبرنا لاي شيء توضأ هذه الجوارح الاربع وهي انظف المواضع في الجسد، قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لما ان وسوس الشيطان الى آدم ودنا آدم من الشجرة ونظر اليها ذهب ماء وجهه، ثم قام و هو اول قدم مشت الى الخطيئة، ثم تناوله بيده ثم مسها. فاكل منها فطار الحلي والحلل عن جسده ثم، وضع يده على رأسه وبكى، فلما تاب الله فرض عليه وعلى ذريته الوضوء على هذه الجوارح الاربع وامره ان يغسل الوجه لما نظر الى الشجرة، وامره ان يغسل الساعدين الى المرفقين لما تناوله منها، وامره ان يمسح القدمين لما مشى الى الخطيئة، ثم قالوا: اخبرنا لاي شيء فرض الله الصوم على امتك بالنهار

ثلاثين يوماً وفرض الله على آدم اكثر من ذلك، قال النبي صلى الله عليه واله وسلم: لما اكل آدم من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً وفرض الله على ذريته ثلاثين يوماً من الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عز وجل عليهم وكذا كان على آدم عليه السلام ففرض الله على امتي ذلك ثم تلا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، ايام معدودات...﴾[1].

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام ان آدم لما اكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله منها، فندم فذهب لينحى عن الشجرة، فاخذت الشجرة برأسه فجرته اليها. وقالت له: افلا كان فرارك قبل ان تأكل مني.

ان اكل آدم من الشجرة لا يخرج من مشيئة الله تعالى لانه قادر ومريد وعالم بافعاله وافعال غيره، وهو سبحانه غير مغلوب و لا مستكره في الارادة والاختيار ومن غير ان يتأثر بمولدات هذه الارادة. والعلم عنده سبحانه وتعالى حضوري ذاتي وعند غيره كسبي ذاتي كنتيجة للاختلاف بين واجب الوجود والممكنات.

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام ان لله ارادتين ومشيئتين، ارادة حتم وارادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، نهى آدم وزوجته ان يأكلا من الشجرة، وشاء ان يأكلا، ولو لم يشأ ان يأكلا لما غلبت شهوتهما مشيئة الله.. ... الحديث [2].

---

(١) سورة البقرة ١٨٣.

(٢) مجمع البحرين ٤٩ الطبعة الحجرية.

ان هذا الحديث يجسد الفلسفة التي اعلنها اهل البيت عليهم السلام في مواجهة الجبر والتفويض وما في كل منهما من المتاهات العقائدية وما سببه القول بهما والصراع بينهما من الارتباك الفكري.

لقد قالوا عليهم السلام بالمنزلة بين المنزلتين، فهو تعالى لم يحل بين آدم وزوجته وبين الاكل من الشجرة بالجبر والقدرة، كذلك لا يعني اكلهما منها ان مشيئتهما غلبت مشيئته لانه تعالى لا يوصف بالعجز، ولكنه سبحانه منعهما بالنهي والزجر ضمن باب التكليف ومسؤولية ما رزقهما من العقل والتمييز.

الخروج من الجنة:

قال تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه..﴾[1].

تظهر الاية الكريمة اتصال اكرامه تعالى الى آدم اذ نسب الازلال الى الشيطان بما قام به من وسوسة ودعوة واغواء لآدم، ومعنى فازلهما لغةً: نحاهما خديعة ومكرا. وقيل استزلهما أي حملهما على الزلل وهو الخطأ والذنب ودعاهما الى ما فيه المزلة ومنازل الخطر.

والشيطان في اللغة كل عات متمرد من الجن والانس والدواب، ولكنه في المقام جاء اسماً لابليس، واصل الشطن: البعد أي انه ابتعد عن رحمة الله.

---

(١) سورة البقرة ٣٦.

وفي الاية الكريمة رحمة وتخفيف بالقاء اللوم والذم على ابليس فصحيح ان الاصل يقتضي تحمل المباشر للمسؤولية، الا انه قد يشترك مع المسبب او يتزاحمان وتكن هناك قرينة على الخلاف وان المسبب هو علة تامة فقد يكون المباشر بمنزلة الالة للسبب كالصبي مثلاً، او ان اثر المباشر كان ضعيفاً.

لذا روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: لما خرج آدم عليه السلام من الجنة نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم اليس الله خلقك بيده ونفخ فيك من روحه، واسجد لك الملائكة، وزوجك حواء أمته، واسكنك الله الجنة، واباحها لك، ونهاك مشافهة ان لا تأكل من الشجرة فاكلت منها وعصيت الله. فقال آدم عليه السلام: ان ابليس حلف لي بالله انه لي ناصح فما ظننت ان احداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً. (١).

انه اعتذار لطيف يقع بين يدي الرب الكريم، لذا يمكن القول بان الاية الكريمة اعلاه لا تدل على ما يعارض عصمة الانبياء.

عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ان موسى سأل ربه ان يجمع بينه وبين آدم عليه السلام، فجمع،

فقال له موسى عليه السلام: يا أبت، الم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك الملائكة، وامرك ان لا تأكل من الشجرة، فلم عصيته؟

فقال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي؟

قال: بثلاثين الف سنة،

فقال: هو ذاك.

---

(١) الجزاري /قصص الانبياء ٤٦.

قال الصادق عليه السلام: فحج آدم موسى.

ولا تعارض بين هذه الرواية على فرض صحة سندها وبين قولنا بالقاء اللوم على ابليس وهو صريح الاية الكريمة، اذ ان الرواية تتعلق بكتابة هذه الخطيئة وثبوتها.

ترى ماذا يكون لو لم يأكل آدم وحواء من الشجرة؟ او ان احدهما فقط اكل منها دون الاخر وهل سيبقى آدم في الجنة، هل سيحدث توالد فيها، وان اخطأ بعض اولاد آدم فهل سيخرج الخاطئ ليبقى نسله في الارض ويبقى شطر من اولاد آدم في الجنة، أم ان آدم سيكون خالداً في الجنة بتناسل ومع الاولاد او من دونهم.

واذا ما تمت اسباب معيشة الانسان فى الكواكب الاخرى فهل يعنى ذلك تجديدا لجوانب من اية حياة ادم وزوجه فى الجنة ، باعتبار انها نعمة باقية نالها الانسان بالتوبة وسلطان العلم .

أم ان الله عز وجل سيبليه بامتحان اخر واخر سواء كان ذلك شرطاً للاهلية للبقاء في الجنة، او سببا للنزول الى الارض واستحقاق التكليف فيها وترتب الثواب والعقاب سيما وانه تعالى اخبر ومنذ خلق آدم بانه سيجعل خليفة في الارض وان تقدم من ان الخليفة في المقام لم ينحصر بآدم.

(وروي عن ابي امامة الباهلي قال: لو ان احلام بني آدم الى قيام الساعة وضعت في كفة ميزان ووضع حلم آدم في الاخرى لرجح حلمه بأحلامهم ولكن المكادحة مع قضاء الله ممتنعة [1].

(١) تفسير الرازي ١٢٦/٢٢.

ويمكن التساؤل ايضاً كيف وصل ابليس الى آدم وحواء واغواهما بالاكل من الشجرة وقد كان اخرج من الجنة مطروداً عندما ابى السجود لآدم، قيل ان آدم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه فكان يكلمه، وكان هذا قبل ان يهبط الى الارض وبعدما اخرج من الجنة. وقيل انه دخل في شدق الحية كما سيأتي بيانه.

الهبوط:

قال تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو..﴾[1].

جاء امر الهبوط متعقباً للزلل والخطأ والاكل من الشجرة، وصحيح ان الهبوط قد يأتي بمعنى الحلول في المكان كما في قوله تعالى: ﴿اهبطوا مصراً..﴾، الا انه يعني في المقام الخروج من الجنة ومغادرتها الى الارض، ومن لواحق الخروج اختلال المزاج وامكان وجود الغل في الصدور.

ومع ان امر الخروج جاء في الاية بصيغة التثنية، الا ان الخطاب جاء بصيغة الجمع مما يستبعد ان يكون الخطاب متعلقاً بآدم وحواء وحدهما وان كان المثنى اقل الجمع.وفي ذلك وجوه:

١- يشمل الخطاب بالاضافة الى آدم وحواء ابليس. ولا يضر في المعنى الاجمالي لهذا القول اسبقية خروج ابليس من الجنة، فقد جمعهما معه موضوع الهبوط، وتنجز واقعاً بهبوط آدم وحواء امر العداوة لما فيها من المفاعلة.

---

(١) سورة البقرة ٣٦.

٢- ان المراد في الاية آدم وحواء وذريتهما، أي ان العداوة تدوم وتتسع لتطال الابناء.

٣- ان الخطاب موجه الى آدم وحواء والحية باعتبار ان ابليس سخرها لدخوله وخداع آدم، ولم يرد في القرآن ذكر لموضوع الحية. ولكن ذكر (ان ابليس دخل في شدق الحية وخاطبهما من شدقها) ونسبه الجزائري الى القيل[1]. وكذلك قال صاحب الكامل: ان ابليس اراد دخول الجنة فمنعته الخزنة، فأتى كل دابة من دواب الارض، وعرض نفسه عليها ان تحمله حتى يدخل الجنة، ليكلم آدم وزوجته، فكل الدواب أبت عليه ذلك حتى اتى الحية. وقال لا امنعك عن ابن آدم، فانت في ذمتي ان ادخلتني، فجعلته ما بين نابين من انيابها ثم دخلت به، وكانت راسية على اربع قوائم من احسن دابة خلقها الله، كأنها بختية، فاعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها، كما ورد ان السم الذي في انياب الحية من مقعد الشيطان فيه، اما لانه اثر فيه من السم او لان السم خلق هناك بسببه، وفي تفسير العسكري: كان ابليس بين لحيي الحية ادخلته الجنة، وكان آدم يظن ان الحية هي التي تخاطبه، ولم يعلم ان ابليس قد اختفى بين لحييها، فرد آدم على الحية ايتها الحية هذا غرور ابليس. وجاء في سفر التكوين ٣: فقالت الحية لحواء انكما لو اكلتما من هذه الشجرة لا تموتان بل تكونان كألهين عارفين بالخير والشر وفيه ايضاً: كانت الحية اخبث كل الحيوانات التي صنعها الرب.

٤- انه موجه الى آدم وحواء والوسوسة، عن الحسن البصري. ولكن ظاهر الخطاب انه موجها الى العقلاء.

---

(١) الجزائري /قصص الانبياء ٥٥.

اقول: يحتمل ان الخطاب موجه على اساس الجنس، ان العداوة حاصلة بين الرجال من جهة والنساء من جهة، وابليس وذريته من جهة اخرى، ثم ان العداوة ليست دائمة ظاهرة، فان ادنى تلبس ببعض وجوهها يتحقق موضوعها.

وان تلك العداوة جزء من احكام الحياة الدنيا على سطح الارض لحكمته تعالى في كونها دار امتحان وبلاء وافتتان، فقد نجد تلك العداوة بين الايمان والكفر، بل هي في الاصل كذلك اذ ان عداوة ابليس لآدم في اصل موضوعها كفر وحسد، وعداوة آدم لابليس بسبب جحوده وغدره واغوائه.

وللعداوة مراتب متفاوتة وصيغ قولية وفعلية مختلفة، وقد تكون من طرف دون الطرف الاخر خاصة وان البعض يعني الشيء من الاشياء.

لقد تلقى آدم موضوع الهبوط بالفزع والحزن والاسى، حيث فقد في لحظة وبأكلة اشرف مستقر واعظم نعمة، وبكى على الجنة بكاءً شديداً فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: البكاءون خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليهم السلام. فاما آدم فبكى للجنة حتى صار في خديه مثل الاودية (وفي حديث اخر:انه بكى حتى خرج من احدى عينيه من الدموع مثل ماء دجلة، ومن الاخرى مثل ماء الفرات)[1].

ولقد كان هبوط آدم عليه السلام من الجنة مناسبة سعيدة لما فيها من وجوه البؤس والشقاء على آدم وذريته. عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: رن ابليس اربع رنات، اولهن يوم لعن، وحين اهبط الى الارض، وحين بعث

(١) الجزائري /قصص الانبياء ٥٦.

محمد،صلى الله عليه واله وسلم على حين فترة من الرسل، وحين انزلت ام الكتاب، ونخر نخرتين حين اكل (أي آدم) من الشجرة، وحين اهبط من الجنة.

والرنة: الصوت والصياح وهو علامة حزن، والنخير: الصوت من الانف وهو علامة الفرح والسرور.

وروي ان الله عز و جل لما اهبط آدم عليه السلام الى الارض قال: ابن للخراب ولد للفناء[1] انه اخبار الهي عن حقيقة الدنيا وانها زائلة، ونهي عن الانقطاع اليها، او الاغترار بزينتها ولكي يواظب الانسان على ذكر ربه واتيان العبادات ووجوه الفرائض والمندوبات.

وعن حياة الحيوان ان آدم عليه السلام لما اخرج من الجنة يشتكي الوحشة فآنسه بالخطاطيف والزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم انساً لهم، ومعها اربع آيات من كتاب الله عزوجل ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته.....﴾ الى آخر السورة، وتمد اصواتها بقول العزيز الحكيم. وفي الحديث تسبيح الخطاف قراءة الحمد.

موضع الهبوط:

وبغض النظر عن موضوع الجنة، ومكانها من السماء او الارض، ترى اين كان هبوط آدم وحواء من الارض وهل كان في موضع واحد، او في بقعتين متقاربتين او متباعدتين، وهل للامر صلة بمسألة العداوة، وهل ان العداوة سبقت وصولهم الى الارض ام انها كانت ملازمة لهم.

---

(١) مجموعة ورام ١١٨.

لقد اختلفت الروايات الواردة في المقام ففي احتجاج الامام علي عليه السلام مع الشامي حين سأله عن اكرم واد على وجه الارض، قال عليه السلام: واد يقال له سرنديب، سقط فيه آدم من السماء.

وعن كعب الاحبار: اهبط الله الحية باصفهان، وابليس بجدة، وحواء بعرفة، واهبط آدم عليه السلام بجبل سرنديب وهو جبل باعلى الصين في ارض الهند، يراه البحريون من مسيرة ايام، وفيه على ما نقل اثر قدم آدم عليه السلام مغموسة[1].

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ فهبط آدم على الصفا، وانما سميت الصفا، لان صفوة الله نزل عليها، ونزلت حواء على المروة، وانما سميت المروة لان المرأة نزلت عليها.

وفي قصص الراوندي باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان آدم عليه السلام نزل بالهند، فبنى الله تعالى له البيت فلما خطا من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران، وما بين القدم والقدم صحارى[2].

ويمكن الجمع بين الاحاديث بعد غض النظر عن موضوع سندها، بان الهبوط على الصفا والمروة بعد دخولهما مكة وهو بمعنى الحلول بالمكان كما في قوله تعالى: ﴿اهبطو مصراً..﴾.

---

(١) مجمع البحرين ١١٤ طبعة حجرية.

(٢) الجزائري /قصص الانبياء ٥٢.

ابليس في الارض:

قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن﴾[1] مع هبوط آدم عليه السلام الى الارض بدأت مرحلة الابتلاء والامتحان والافتتان، فكان ابليس غاوياً لادم وقاعداً له على الصراط المستقيم وعدواً له في الارض كما كان في الجنة ، التوبة محت الذنب ولم تؤد الى رفع اصل الابتلاء ، لقد اغرى ابليس به السباع حال هبوطه فأنجاه الله عز وجل، ثم أخذ يزاحمه ويرهقه في قوته وعمله كجزء من الافتتان اليومي. بالاسناد عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ان آدم عليه السلام لما أُهبط من الجنة اشتهى من ثمارها فانزل الله تبارك وتعالى عليه قضيبين من عنب فغرزهما فلما أورقا وأثمرا وبلغا جاء ابليس فحاط عليهما حائطاً. فقال آدم: ما لك يا ملعون. فقال ابليس: انهما لي، فقال : كذبت. فرضيا بينهما بروح القدس، فلما انتهيا اليه. قص آدم عليه السلام قصته فأخذ روح القدس شيئاً من نار فرمى بها عليهما، فالتهبت في اغصانها حتى ظن آدم انه لم يبق منهما شيء الا احترق، وظن ابليس مثل ذلك. قال: فدخلت النار حيث دخلت، وقد ذهب منهما ثلثاهما وبقي الثلث فقال الروح: اما ما ذهب منهما فحظ ابليس وما بقي فلك يا آدم، وفي الكافي عن الامام الصادق عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى لما اهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع وطرح

---

(١) سورة الانعام ١١٢.

اليه غرساً من غروس الجنة، فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمان وغرسها لتكون لعقبه وذريته فأكل هو من ثمارها. فقال ابليس لعنه الله: يا آدم ما هذا الغرس الذي لم اكن اعرفه في الارض فقد كنت بها قبلك أئذن لي آكل منها شيئاً فأبى ان يطعمه فجاء الى حواء. فقال لحواء: انه قد اجهدني الجوع والعطش. فقالت له حواء: ان آدم عهد ان لا اطعمك من هذا الغرس لانه من الجنة ولا ينبغي لك ان تأكل منه، فقال لها فأعصري في كفي منه شيئاً فأبت عليه، فقال: ذريني امصه ولا آكله فأخذت عنقوداً من العنب فأعطته فمصه ولم يأكل منه شيئاً لما كانت حواء قد الحت عليه، فلما ذهب بعضه جذبته حواء من فيه، فاوحى الله عز وجل الى آدم عليه السلام ان العنب قد مصه عدوي وعدوك ابليس وقد حرمت عليك من عصيره الخمر ما خالطه نفس ابليس، فحرمت الخمر لان عدو الله ابليس مكر بحواء حتى مص من العنبة ولو اكلها لحرمت الكرمة من اولها الى آخرها وجميع ثمارها وما يخرج منها ثم انه قال لحواء فلو امصصتيني من هذا التمر كما امصصتيني من العنب فاعطته تمرة فمصها، وكانت العنبة والتمر اشد رائحة وازكى من المسك الازفر واحلى من العسل فلما مصها عدو الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما ثم ان ابليس الملعون ذهب بعد وفاة ابينا آدم فبال في اصل الكرمة والنخلة فجرى الماء في عروقهما في بول عدو الله، فمن ثم يختمر التمر والعنب أي يتغير ريحهما ويصير منتناً، فحرم الله عز وجل على ذرية آدم كل مسكر لأن الماء جرى ببول عدو الله في النخل والعنب وصار كل مختمر خمراً

لان الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدو الله ابليس لعنه الله.

ان وجود ابليس في الارض جزء من موضوع الافتتان في الحياة الدنيا وفق الحكمة الالهية، أي ان مقدمات الابتلاء تمت هي الاخرى بعلم الله تعالى وبمشيئته. وفي الحديث أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر ابليس ان يسجد لآدم وشاء ان لا يسجد ولو شاء لسجد.

الأرض مستقر:

قال تعالى: ﴿ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين﴾[1].

سيبقى موضوع هبوط آدم الى الارض نعمة متصلة عليه وعلى ذريته ، وصحيح ان الهبوط بالقياس والمقارنة مع سكن الجنة حرمان وخسارة واقرب الى العقوبة الا ان النظر الى وجود آدم في الارض بشكل مستقل بعيداً عن المقارنة يظهر رحمة الله تعالى في اكرام آدم وذريته وبداية الخلافة في الارض وعمارتها بالعبادة والذكر، الى جانب تهيئة اسباب الرزق فيها.

كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى لما اهبط آدم عليه السلام امره بالحرث والزرع وطرح عليه غرساً من غروس الجنة فاعطاه النخل والعنب والزيتون والرمان وغرسها لتكون لعقبه وذريته فاكل هو من ثمارها.

بل وردت نصوص تفيد ان الطيب والعطر كان ابتداؤه من حواء وهبوطها الى الارض أي انه من افاضات الجنة.

---

(١) سورة البقرة ٣٦.

فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: أُهبط آدم عليه السلام من الجنة الى الصفا وحواء الى المروة، وقد كان امتشطت في الجنة، فلما صارت في الارض قالت ما ارجو من المشط وانا مسخوط علي، فخلت مشطها فانشر من مشطها العطر الذي كان. وفي حديث اخر انها حلت عقيصتها فارسل الله عز وجل على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً فهبت به في المشرق والمغرب. وفي الكافي باسناده عن ابي عبد الله الامام الصادق عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى لما اهبط آدم طفق يخصف عليه من ورق الجنة وطار عنه لباسه الذي كان عليه من حلل الجنة، فالتقط ورقة فستر بها عورته فلما هبط عبقت أي لصقت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت، فصار فى الارض من سبب تلك الورقة التي عبقت بها رائحة الجنة فمن هناك الطيب بالهند لان الورقة هبت عليها ريح الجنوب، فأدت رائحتها الى المغرب لانها احتملت رائحة الورقة في الجو، فلما ركدت الريح بالهند عبق باشجارهم ونبتهم، فكان اول بهيمة ارتعت من تلك الورقة ظبي المسك فمن هناك صار المسك صرة الظبي لانه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتى اجتمعت في صرة الظبي.

ومع هذا فقد جاء في الخبر ما يدل على سوء الحالة التي قدم فيها آدم وحواء الى الارض وفقرهما في عالم الارض وما فيه من المشاق والجهد والحاجة الى الحيطة والتدبير والسعي. فقد ورد عن امير المؤمنين عليه السلام ان النبي صلى الله عليه واله وسلم سُئل مم خلق الله عزوجل الكلب؟ قال خلقه من بزاق ابليس، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لما اهبط الله عز وجل آدم وحواء الى

الارض اهبطهما كالفرخين المرتعشين، فغدا ابليس الملعون الى السباع وكانوا قبل آدم في الارض، فقال لهم: ان طيرين قد وقعا من السماء لم ير الراؤن اعظم منهما، تعالوا فكلوهما، فتعاوت السباع معه، وجعل ابليس يحثهم ويصيح بهم ويعدهم بقرب المسافة. فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق فخلق الله عز وجل من ذلك البزاق كلبين احدهما ذكر والاخر انثى، فقاما حول آدم وحواء، الكلبة بجدة والكلب بالهند، فلم يتركوا السباع ان يقربوهم، ومن ذلك اليوم صار الكلب عدو السبع والسبع عدو الكلب.

وظلت رحمة الله عز وجل تتغشى آدم حتى في الارض، واولئك الملائكة الذين سجدوا لآدم بقوا اوفياء له في جنب الله، يمدون له يد العون والتوجيه النافع والانس الروحي ويرشدونه الى سبل النجاة في الدارين بعد تحقق التكليف، بالاسناد عن وهب قال: لما اهبط آدم عليه السلام الى الارض استوحش لفقد اصوات الملائكة فهبط عليه جبرئيل فقال يا آدم الا اعلمك شيئاً تنتفع به في الدنيا والاخرة، قال بلى، قال قل اللهم تمم لي النعمة حتى تهنئني المعيشة، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤونة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية[1].

ان نزول الملائكة وعدم انقطاع صلتهم مع آدم عليه السلام بعد نزوله الى الأرض رحمة منه تعالى لآدم وللناس جميعاً ودليل على قبول توبته وتثبيت لنبوته ودوام تشريفه. وفي تفسير العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام: (ان آدم كان له في السماء خليل من الملائكة، فلما هبط آدم عليه السلام من

(١) حلية الاولياء ٤/٢٨.

السماء الى الآرض استوحش الملك، وشكى الى الله تعالى وسأله ان يأذن له، فأذن له فهبط عليه فوجده قاعداً في قفرة من الأرض، فلما رآه آدم عليه السلام وضع يده على رأسه وصاح صيحة، قال ابو عبدالله يروون انه أسمع عامة الخلق فقال له الملك يا آدم ما أراك إلا وقد عصيت ربك وحملت على نفسك ما لا تطيق أتدري ما قال لنا الله فيك فرددنا عليه؟ قال: لا، قال: انه جعلك في الأرض خليفة، قلنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فهو خلقك ان تكون في الأرض أيستقيم ان تكون في السماء، قال أبو عبدالله: والله عز بها آدم ثلاثاً)[1]، وهذا الحديث قد يتعارض مع القول بأن جنة آدم في الأرض، ولكن السند ضعيف بالاضافة الى نصوص عديدة جاءت بخلافه ثم ان موضوع الحديث يتعلق بالعزيمة في استقرار آدم في الأرض وما فيه من المشقة والكد والإبتلاء.

ولقد اتخذ آدم عليه السلام الطير دليلاً بالاضافة الى النجم فقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: كان الصرد دليل آدم عليه السلام من بلاد سرنديب الى جدة شهراً، وهو اول طائر صام الى الله تعالى.

ذرية آدم:

بالاسناد عن ابي خالد قال: سئل ابو عبد الله عليه السلام: الناس اكثر ام بنو آدم؟

فقال: الناس،

---

(١) تفسير الميزان ١١٩/١ عن العياشي.

قيل: وكيف ذلك؟

قال: لانك اذا قلت الناس دخل آدم فيهم واذا قلت بنو آدم فقد تركت آدم لم تدخله مع بنيه فلذلك صار الناس اكثر من بني آدم وادخالك اياه معهم، ولما قلت بنو آدم نقص آدم من الناس)[1] ولم تذكر حواء في الحديث لانتفاء الحاجة في بيان الفارق اما احتمال ان الموضوع والمقارنة تتعلق بالذكور فبعيد. وفي القرآن ورد الخطاب سبع مرات بصيغة يابني آدم.وفيه نوع اكرام لادم عليه السلام وتذكير ببدايات خلق الانسان ، ودعوة للاقتداء به .

ومما لا يختلف فيه المليّون وغيرهم ايضاً ان آدم ابو البشر، ومن الصعب وفق الحسابات الواقعية تصور ان هذه الملايين من البشر من أب واحد وأم واحدة، لم يكن على الارض غيرهما ولم يكن يسكنان منها الا امتاراً معدودة، ولكنه آية من بديع صنعه تعالى احكم اتقانها، كجزء من مخلوقاته التي ملأت السموات والارضين، (وقد روي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال: لله ارض بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً هي مثل الدنيا مشحونة خلقاً لا يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس ولا يعلمون ان الله يعصى في الارض)[2].

ونقل ان آدم لم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفاً.

---

(١) علل الشرائع ٧٨/١.

(٢) مجمع البحرين ٣٢٩ طبعة حجرية.

والخبر يحتاج الى التحقيق من جهة السند والصدور وان كان غير مستبعد عقلاً بالنظر الى طول عمر آدم حسب الروايات.

وبقي شخص آدم شاخصاً وحاضراً في أذهان الشعوب ومعتقداتها وما ترويه من القصص والحكايات، ليس هذا فحسب بل أن الله عز وجل أبقى الناس مع تعاقب اجيالهم مرتبطين من حيث الخلقة مع آدم (فبالإسناد عن جعفر بن بشير عن رجل عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى اذا اراد ان يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين ابيه الى آدم ثم خلقه على صورة احدهم فلا يقولن احد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من اولادي)[1]. وفي ذلك بركة وسعة ورحمة ومنع لسوء الظن والقيافة التي تعتبر محرمة.

بل أن النبي محمد صلى‌الله عليه وآله وسلم كان يؤدب الأمة على الاقرار باثر شخص آدم في حياتهم وخلقهم وبيان بركة استحضار ذكره بالهداية والايمان والبصيرة وسعة الافق ومنع سوء الظن والتهمة (فقد ورد عن علي بن رياح عن ابيه، عن جده، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ما ولد لك؟ قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لي؟ اما غلام واما جارية قال: فمن يشبه؟ قال: يا رسول الله ما عسى ان يشبه؟ إما أباه وإما أمه.فقال: لا تقولن هذا، ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، فركب خلقه في صورة من تلك الصور، اما قرأت هذه الاية

(١) بحار الانوار ٦٠/٣٤٠.

في كتاب الله: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ من نسبك ما بينك وبين آدم[١].

ان الجهات العالمية التي تدعو الى الوفاق والوئام ونبذ الحروب والاقتتال بين الناس لم تستثمر مسألة آدم عليه السلام وان الناس جميعاً منه أباً ونبياً، مع اهمية هذه المسألة اجتماعياً واخلاقياً وسياسياً، ولكن الاسلام ومنذ اكثر من ألف واربعمائة سنة لم يغفل عنها فبالإضافة الى الايات القرآنية التي يمكن استنباط كثير من الدروس المتعلقة في المقام منها (فان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة وعندما أجتمع الناس له في المسجد الحرام وقف على باب الكعبة وقال: لا اله الا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده، الى ان قال: يا معشر قريش، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله أتقاكم..﴾[٢].

وذيل الآية ،وما فيها من اعتبار لموضوع التقوى لا يمكن فصله عن اولها والانتماء لآدم، لانه نبي ومن اهل التقوى بل هو الذي زرع بذور الايمان في الارض واسس عبادته تعالى فيها رائداً وداعياً الى الله وفاتحاً لطريق التوبة والانابة.

كما ان خلقة آدم وهيأته ظلت موجودة في الابناء، وتعرف من خلال الاخبار والنصوص المعتبرة وما يرد عن المعصوم. فمثلاً ورد في رواية ان الزهراء عليها السلام في خطبتها لعلي

(١) بحار الانوار ٦٠/ ٣٨٥.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤١٢/٢.

عليه السلام شكت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما تقوله نساء قريش من انه انزع عظيم العينين فقال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: واما انه انزع عظيم العينين فان الله تعالى خلقه بصفة آدم.

وهل يكون ذلك الشبه لخصوص المورد وانه جزء من علامات الامامة، الاقرب هو القول بالعموم لاطلاقات النصوص التي تقدمت والقائلة باحضار كل نسب الى آدم عند استقرار اية نطفة في الرحم. نعم انه تشريف واكرام خاص له اسرار ومدلولات تتعلق بالاهلية للامامة.

وفي قوله تعالى: ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم..﴾ [1] الآية، ورد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾.

أي ان الصلة بين آدم وذريته لم تنحصر بموضوع الأبوة والبنوة بل انها أعم من ذلك وتتعلق بالعهد والميثاق وميراث النبوة والعبودية الخالصة لله عزوجل.

لقد ورد في الاخبار ان بعضاً من الاحكام الشرعية وعللها يعود في تأريخ تشريعه الى أيام آدم عليه السلام، ولا غرابة ان يصل الامر الى الصلاة التي هي عمود الدين وقد ورد ان شطرا من احكامها واجزائها وشرائطها قد عمل به آدم عليه السلام ووصى به بنيه. ففي مسألة القبلة مثلاً جاء في خبر ابن

(١) سورة الاعراف ١٧٣.

كثير عن أبي عبدالله الإمام الصادق عليه السلام ان الله عزوجل بعث جبرئيل الى آدم عليه السلام فنزل غمام من السماء فأظل مكان البيت، فقال جبرئيل عليه السلام: يا آدم خط برجلك حيث أظل الغمام فانه قبلة لك ولآخر عقبك من ولدك.

آدم والصلاة :

قال تعالى: ﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1].

والصلاة قربان كل مؤمن وعنوان الخضوع لسلطان الباري عز وجل ورمز التقوى ولباس الهدى وطريق الالتجاء وبرداء الخشوع الى الله عز وجل بما تمثله من الذكر والدعاء والانقياد والتسليم لارادته تعالى.

انها توجه مبارك لالتماس عفوه تعالى وسؤال مرضاته، ولقد كان آدم عليه السلام محتاجاً الى التوبة وسلوك سبلها واظهار الندم والتخفيف عن الحزن والكرب الذي اصابه باخراجه من الجنة وما لحقه من التبعات والاثار، وفي الحديث ان النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم كان اذا أحزنه أمر استعان بالصوم والصلاة.

فلا بد ان يفر آدم الى الصلاة عوناً ومؤنساً ووظيفة بل وحاجة. وقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: لما أهبط الله آدم من الجنة ظهرت فيه شامة سوداء في وجهه من قرنه الى قدمه، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به، فاتاه جبرئيل عليه السلام.فقال: ما يبكيك يا آدم؟ قال: هذه

---

(١) سورة النساء ١٠٣.

الشامة التي ظهرت بي، قال: قم، فصل. فهذا وقت الاولى، فقام فصلى، فانحطت الشامة الى صدره فجاءه في الصلاة الثانية، فقال يا آدم قم فصل فهذا وقت الثانية، فقام فصلى، فانحطت الشامة الى سرته فجاءه في الصلاة الثالثة، فقال: يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلى، فانحطت الشامة الى ركبتيه، فجاء وقت الصلاة الرابعة، فقال: يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الرابعة، فقام فصلى، فانحطت الشامة الى رجليه.فجاءه في الصلاة الخامسة، فقال: يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام فصلى فخرج منها، فحمد الله وأثنى عليه. فقال جبرئيل عليه السلام: يا آدم مثل ولدك في هذه الصلاة كمثلك في هذه الشامة من صلى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة.

آدم والصيام:

الصيام عبادة ملاكها الصبر وضبط النفس وتحريرها من اتباع الشهوات والميل الى اللذات الى جانب ما فيه من اظهار الارادة في طاعة الله، انه مدرسة في اخلاص العبادة لله عز وجل ونبذ زينة الدنيا وحاجات البدن ساعة الانقطاع اليه سعياً للسياحة في عالم الملكوت والارتقاء في عالم التقوى والفلاح.

وفي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...﴾[1]. يمكن القول ان ادم اول من اتخذ الصيام عبادة .

لقد كان آدم عليه السلام نبياً وحاملاً لراية التوحيد في الارض، ورأي من آيات ربه وسكن الجنة بالامر الذي يملي عليه تعاهد الفرائض التعبدية وصيانتها وكان اهلاً لذلك. عن ابن مسعود انه سئل عن الايام البيض ما سببها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان آدم لما عصى ربه عز وجل ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جواري فانه لا يجاورني احد عصاني فبكى وبكت الملائكة فبعث الله عز وجل اليه جبرئيل فاهبطه الارض مسوداً، فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت وقالت: يارب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك، واسجدت له ملائكتك فبذنب واحد حولت بياضه سواداً فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم، فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد ثم نودي يوم الرابع عشر ان صم لربك فصام فذهب ثلثا السواد، ثم نودي في يوم الخامس عشر بالصيام فصام وقد ذهب السواد كله فسميت ايام البيض الذي رد الله فيه على آدم بياضه ثم نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة ايام جعلتها لك ولولدك من صامها في كل شهر فانما صام الدهر ثم قال فاصبح آدم وله لحية سوداء كالحمم فصرف يده اليها، فقال يارب ما هذه. فقال: هذه اللحية زينتك بها انت وذكور ولدك الى يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة ١٨٣.

التوبة والندم:

لقد بلغ آدم منازل اليقين وهو اعتقاد ايماني راسخ وعلم خال من الشك والتردد، لانه من انبياء الله فلا بد انه يظهر الندم ويلتفت لما يجب عليه فعله ويتدارك ما صدر منه بالانابة والاعتراف بالتقصير واسباب التقرب الى الله عز وجل.

وبالاسناد عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: لولا ان آدم اذنب، ما اذنب مؤمن ابداً، ولولا ان الله عز وجل تاب على آدم ما تاب على مذنب ابداً.

لقد خالف آدم عليه السلام الامر الارشادي وليس التكليفي الذي بدأ مع هبوطه الى الارض مغفوراً له وحاملاً للواء النبوة.

ان تحريض الشيطان واغواءه امر اقتضائي لا يلغي ما للانسان من اختيار وملكة الارادة. ولله عز وجل الحجة البالغة على الانسان بما رزقه من العقل والتمييز والقدرة على الوقاية من نزغ الشيطان وكيده الذي يعتبر لهذه الاسباب ونحوها ضعيفاً، وعندما يفشل الانسان في مواجهة مكر الشيطان وحيله وينقاد الى واقع الخطيئة او التقصير. لم يقطع الله عز وجل عليه طريق الامل، فان باب التوبة يبقى مفتوحاً.لقد انقطع امل آدم من المخلوق وتوجه الى الله عز وجل تائباً مطيعاً فانعم الله عليه بالتوبة والمنزلة الرفيعة بل وزاد عليه وعلى ولده من فضله.

لقد واظب آدم على العبادة والاستغفار حتى غفر الله تعالى له (وفي الحديث وكان مابين اكل آدم من الشجرة وما بين ماتاب الله عليه ثلاثمائة سنة من ايام الدنيا)[١].وحكي عن الكفعمي ان الله قبل توبته في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان.

(روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود كان بكاؤه اكثر، ولو جمع كل ذلك الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر، وانما سمي نوحاً لنوحه على نفسه، ولو جمع كل ذلك الى بكاء آدم لكان بكاء آدم على خطيئته أكثر)[٢].

لقد كانت العواقب التي ترتبت على خطيئة آدم مختلفة في الكيف والكم عن خطايا وذنوب غيره من الناس، في مأساة وتغيير موضوعي سلبي في حياة آدم، وانعطاف تاريخي غير مسيرة حياة البشر الى يوم القيامة.

ولكنه تعالى لم يغلق باب التوبة ولم يحصر مدى تاثيرها في ستر الذنوب ومغفرتها ، وبذلك يختلف الاسلام فلسفة وعقيدة عن الملل الاخرى، فاحد الاصول الثلاثة الاولية التي بني عليها دين النصرانية هو ان العالم كان ملوثاً بقذر خطيئة آدم باكله من الشجرة، وان الله عز وجل ارسل ابنه المسيح الى الارض وقضى عليه بالصلب ليكون فدية عن جميع الخلق.

---

(١) مجمع البحرين ٧٥ طبعة حجرية.

(٢) تفسير الرازي ١٢٩/٢٢.

لباس آدم:

قال تعالى: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[1].

طفق: اخذ و انشأ، وقرئ يخصفان للاكثار والتكرير، وورق الجنة هو ورق التينة، وعن ابن عباس: عريا من النور الذي كان الله البسهما حتى بدت فروجهما.

وظهور السوءة اما جزاء او انه معلق على الاكل ضمن نواميس الجنة، او علامة عدم استحقاق البقاء فيها، او لترتب مصلحة، والله هو العليم الحكيم.

لقد هبط آدم عليه السلام من الجنة عرياناً وليس من دليل على ان ورق التين الذي اتخذه وحواء ساتراً كان معهما حين الوصول الى الارض، وورد في الخبر ان اول لباس آدم لما هبط الى الارض صوف كبش قيضه الله له، وامره ان يذبحه، فيأكل لحمه، ويلبس صوفه، فذبحه وغزلت حواء صوفه، فلبس آدم منه ثوباً والبس حواء ثوباً آخر، فلذلك صار شعار الاولياء وكان علامة الورع ودلالة الصلاح ومنه اشتق اسم جماعة الصوفية.

واتخذ آدم عليه السلام فيما بعد انواعاً آخرى من اللباس لا تختلف او تتباين من حيث الجنس، وتدل على الطبيعة البسيطة الخالية من المشقة وان كانت متضمنة حالة من الابتكار (بالاسناد الى الامام الصادق عليه السلام قال: لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر الى وجه حواء ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين

---

(١) سورة طه ١٢١.

العظيمين من الدموع، ولقد قام على باب الكعبة، ثيابه جلود الابل والبقر، فقال: اللهم اقلني عثرتي، واغفر ذنبي، واعدني الى الدار التي اخرجتني منها، فقال الله عز وجل:قد اقلتك عثرتك وغفرت لك ذنبك، وساعيدك الدار التي اخرجتك منها)[1]. ان موضوع ستر العورة آية كونية، فترى الناس على اختلاف مذاهبهم وبما فيهم المشركون واهل الالحاد يلتزمون غريزياً بستر العورة عن الناظر.ولعل الامر يرجع فى علته وتاريخه الىالاية الكريمة اعلاه وموضوعها .

عمر آدم:

لقد كان هبوط آدم عليه السلام الى الارض اول وجود للانسان على سطحها، ومنذ ذلك الحين بدأت مسيرة الحياة البشرية تتسع فتغطي ارجاء الارض.

ولقد كان آدم معمراً لحكمة منه تعالى في تثبيت دعائم التوحيد في الارض واكراماً لآدم الذي خلقه بيده. وقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: قال النبي صلى الله عليه واله وسلم: عاش آدم ابو البشر تسعمائة وثلاثين سنة.

وورد في قول انه عاش الف سنة. وقال ابن ابي خيثمة: عاش تسعمائة وستين سنة (وعن ابن طاوس ان عمره من وقت نفخ الروح الى وفاته الف وثلاثين)[2].

---

(١) الجزائري /قصص الانبياء ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ١٥٨/١.

وقال النووي في تهذيبه: اشتهر في كتب التواريخ انه عاش الف سنة، ويزعم اهل التوراة ان عمر آدم عليه السلام كله، كان تسعمائة وثلاثين سنة.

ومما يدل على ان عمر آدم كان طويلاً ، ما روي في الكافي مسنداً عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه سئل عن اول كتاب في الارض، فقال ان الله عز وجل عرض على آدم ذريته عرض العين في صورة الذر نبياً فنبياً، وملكاً فملكاً، ومؤمناً فمؤمناً، وكافرا فكافراً، فلما انتهى الى داود عليه السلام قال: من هذا الذي نبئته واكرمته وقصرت عمره، فاوحى الله عز وجل اليه هذا ابنك داود وعمره اربعون سنة واني قد كتبت الآجال وقسمت الارزاق وانا امحو ما اشاء واثبت وعندي ام الكتاب، فان جعلت له شيئاً من عمرك الحقته له قال يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة، فقال الله عز وجل لجبريل وميكائيل وملك الموت اكتبوا عليه كتاباً فانه سينسى، فكتبوا عليه كتابا وختموه باجنحتهم من طينة علىين فلما حضرت آدم الوفاة اتاه ملك الموت، فقال آدم: يا ملك الموت ما جاء بك؟ قال جئت لأقبض روحك، قال: قد بقي من عمري ستون سنة فقال: انت جعلتها لابنك داود ونزل عليه جبرئيل واخرج له الكتاب، فمن اجل ذلك اذا اخرج الصك على المديون ذل المديون، فقبض روحه[1] وعن ابن عباس انه وهب من عمره الى داود اربعين سنة لتكون تمام المائة[2].

---

(١) الكافي.

(٢) انظر في تفسير الرازي ٤٧/١٥، وتفسير ابن كثير ٢٦٣/٢.

تشريع الزواج:

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾[١].

وفي الاية الكريمة دلالة التزامية على اهمية الزواج فصفة الزوجة جاءت مصاحبة لحواء منذ خلقها ولم تذكر هنا الا بها، أي ان حواء لم تذكر بالاسم وكذلك كان الخطاب فيها موجهاً الى آدم وزوجه كما في قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك..﴾[٣].

ولا يعني هذا تبعية المرأة للرجل في التكاليف، فكل مكلف يتوجه اليه الأمر والنهي، بصورة عينية مستقلة، سواء كان الواجب تعبدياً أو توصلياً، نفسياً أو غيرياً، تعينياً أو تخييرياً، لذا لا يمكن الغاء المسؤولية الشرعية عن حواء، ولكن يمكن ان يستفاد من لغة الخطاب هذه نبوة آدم وان حواء تتلقى التكاليف بالواسطة وفيها توكيد لمسؤولية الزوج في تعليم زوجته وعياله الاحكام الشرعية كما مدح الله عز وجل النبي اسماعيل بقوله تعالى: ﴿وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾[٤]

ان الملازمة بين خلق حواء وصفة الزوجية في القرآن آية اعجازية ، تدل على ان الصفة الاساسية للمرأة لباس الزوجية ، كما انها قطعت التساؤل وصيغ التشكيك عن نوع

---

(١) سورة النساء ١.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

(٣) سورة طه ١٧.

(٤) سورة مريم ٥٥.

العلاقة بين آدم وحواء في مدة ما قبل الزواج لو كان حدوثه متأخراً، وربما حدثت شبهة عند اقوام، كما حدث عند المجوس في الزواج من الاخوات وعن زرارة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له، والقى عليه النوم ثم ابتدع له خلقاً ثم جعلها في موضع النقرة الذي بين وركيه[1] وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل فأقبلت تتحرك فأنتبه لتحركها، فنوديت ان تنحي عنه، فلما نظر اليها، نظر الى خلق حسن يشبه صورته غير انها انثى فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها من انت؟ قال: خلق خلقني الله كما ترى. فقال آدم: يارب من هذا الخلق الحسن الذي قد انستي قربه والنظر اليه. فقال الله: هذه امتي حواء، افتحب ان تكون معك فتؤانسك وتحدثك وتأتمر بأمرك. قال نعم يارب، ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت. فقال الله: فاخطبها لي فانها امتي وقد تصلح ايضاً للشهوة، والقى الله عليه الشهوة وقد علم قبل ذلك المعرفة، فقال يا رب فاني اخطبها اليك فبما رضاك لذلك؟ قال: رضائي ان تعلمها معالم ديني، فقال: لك ذلك علي يارب ان شئت ذلك، قال عز وجل: قد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها اليك، فقال: اقبلي، فقالت: بل انت فاقبل فامر الله عز وجل آدم ان يقوم اليها، فقام، فلولا ذلك لكان النساء هن يذهبن الى الرجال حتى يخطبن على انفسهن[2].

لقد كانت في هذا الزواج مسؤولية شرعية واخلاقية على آدم بل وامانة يجب الحفاظ عليها سواء تجسدت اسباب

(١) الورك -بالفتح والكسر -ما فوق الفخذ مؤنثة.

(٢) الجزائري /قصص الانبياء ٥٨.

الحفاظ بشخص الزوجة او نوع السلوك معها او بالوظائف الشرعية للطرفين لذلك ورد في معاني الاخبار عن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم انه قال: أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاما الامانة فهي التي اخذ الله عز وجل آدم حين زوجه حواء، واما الكلمات فهي الكلمات التي اشترط بها على آدم ان يعبده و لا يشرك به شيئاً و لا يزني و لا يتخذ من دونه اولياء.

القوت:

حينما اهبط آدم عليه السلام الى الارض احتاج الى ما يقتاته، والله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين، وهو الذي قدر في الارض اقواتها، يرزق من فضله البر والفاجر، فكيف بعبده الذي خلقه بيده واسجد له الملائكة و آتاه النبوة.

روي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: لما اهبط الله عز وجل آدم عليه السلام من الجنة اهبط معه مائة وعشرين قضيباً، منها اربعون ما يؤكل منها داخلها وخارجها، واربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى خارجها، واربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها. وغرارة فيها بذر كل شيء[1]. والغرارة الجوالق معرب جوال.

(١) الجزائري /قصص الانبياء ٥٦.

والاولى منها كالقثاء والتين، والثانية كالرمان والبطيخ، والثالثة وهو ما يؤكل خارجها ويرمى داخلها كالتمر الذي ورد ذكره خاصة بالنزول من الجنة كما عن الامام جعفر الصادق عليه السلام الذي قال: العجوة ام التمر وهي التي انزلها الله تعالى لادم من الجنة،

وعن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: انها كانت نخلة مريم عليها السلام، والعجوة ضرب من التمر الجيد يميل لونه الى السواد. وقد غرس منها النبي صلى الله عليه واله وسلم في المدينة.

فيمكن القول انه اول من عمل وزرع هو آدم عليه السلام. انها دعوة للناس جميعهاً للزراعة والسعي والتماس بركات الارض والتفكر في عظيم النعمة واتصال الحياة بالارض التي خلق الانسان منها. وقد ورد في حديث عن الامام جعفر الصادق عليه السلام ان الله عز وجل امر آدم بالحرث والزرع (وفي حديث آخر: ان جبرئيل اتى بقبضة من حنطة فاخذ منها آدم عليه السلام وزرع فخرج حنطة وقبضت حواء وزرعت فخرجت شعيراً[1].

آدم والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: كنت نبياً و آدم بين الماء والطين.

لقد بلغت الكمالات الانسانية غايتها بالنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم فهو سيد البشر، ومن صفات الله تعالى

(١) سفينة البحار ٤٣٦/١

الثبوتية انه عالم، عالم بكل شيء، يعلم الحوادث والجزئيات قبل حدوثها بعلمه الازلي ذلك ان صفاته عين ذاته، وتغير المعلومات لا يعني ابداً تغير ذاته، لان التغير في الاضافات وهي امور اعتبارية لا اثر لها بالعلم الذاتي.

ولقد وردت نصوص كثيرة تؤكد اقرار آدم عليه السلام بمنزلة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم منها ما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم انه قال: لما اذنب آدم الذنب الذي اذنبه رفع رأسه الى السماء، فقال: اسالك بحق محمد الا غفرت لي، واوحى الله اليه ومن محمد؟ قال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله، فعلمت انه ليس احد عندك اعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فاوحى الله اليه: يا آدم انه اخر النبيين من ذريتك و لولاه ما خلقتك.

واستمر ذلك الاقرار و انتقل مع آدم الى الارض، فقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله ابونا آدم، فقال بعضهم: الملائكة المقربون، وقال بعضهم: حملة العرش. اذ دخل عليهم هبة الله فحكوا له فرجع الى آدم عليه السلام وقال له: يا ابت اني دخلت على اخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما اخبرهم، فقال آدم: يا بني اني وقفت بين يدي الله جل جلاله فنظرت الى سطر على وجه العرش مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم محمد وآل محمد خير من برأ الله[1].

(١) الجزائري / قصص الانبياء ٣٣.

وبالاضافة الى ما في هذا الحديث من شهادة كريمة فانه توصية للابناء وجزء من وظائف النبوة بالتبشير بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليتطلع الناس جميعاً لاشراقة الاسلام ويستعدوا للحفاظ على احكامه بنصرة سيد الانبياء وتصديقه، انه مدد الهي سابق للاسلام في زمانه وحجة على تلك الاجيال.

وفي قوله تعالى: ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي..﴾ الاية، قيل انه غاية التشريف وهو ابلغ من تشريف آدم بسجود الملائكة له، ويتصل تفضيل النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم بالآخرة حيث الدرجة الرفيعة والمقام الموعود الذي ينعم الله عز وجل به عليه دون غيره، وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم: آدم ومن دونه تحت لوائي.

كذلك كانت أفضلية النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم على الانبياء مطلقاً وآدم عليه السلام خاصة في باب المعجزة معروفة وظاهرة وذلك لبيان دوام الاكرام وتمام الحجة، ففي الخرايج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليه السلام ان يهودياً سأل امير المؤمنين عليه السلام عن معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل معجزات الانبياء فقال: هذا آدم اسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئاً مثل هذا؟ فقال علي عليه السلام: لقد كان ذلك ولكن اسجد الله لآدم ملائكته لم يكن سجود طاعة، انهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له، ومحمد عليه السلام أعطي ما هو افضل من هذا، ان الله جل

جلالـــه صـــلى عليـــه في جبروتـــه والملائكـــة بأجمعهـــا، وتعبـــد المؤمنين بالصلاة عليه فهذا زيادة له يا يهودي[1].

لقـــد اجمـــع المســـلمون علـــى أفضـــلية الـــنبي محمـــد صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم علـــى آدم، وفي القـــرآن والســـنة شـــواهد كـــثيرة على ذلك.

وآدم عليـــه الســـلام الـــذي جعلـــه الله عـــز وجـــل خليفـــة في الارض، اتخـذ لـه خاتمـاً. وكـان نقشـه لا الـه الا الله محمـد رسـول الله، وهـذا الخـاتم هـبط معـه مـن الجنـة وهـو المـروي عـن الامـام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وفـــى الحـــديث دلالات منهـــا ان ابـــا البشـــر يـــدعو لســـيد النبـــيين ويبشـــر برســـالته ،ويجعـــل موضـــوعها زينـــة لـــه ووســـاماً، قـــال تعـــالى ﴿مـــا كـــان محمـــد أبـــا أحـــد مـــن رجـــالكم ولكـــن رســـول الله وخـــاتم النبيين﴾ [2].

آدم والحج:

الحـــج لغـــة هـــو القصـــد والســـعي الى الشـــيء، وفي الاصـــطلاح هـــو القصـــد الى بيـــت الله الحـــرام في زمـــان مخصـــوص مـــن كـــل ســـنة وفق الحساب القمري مع اتيان اعمال مخصوصة ومسنونة.

انـــه عشـــق يجســـد مضـــامين العبوديـــة، وشـــوق فطـــري الى الشـــاخص الـــذي جعلـــه الخـــالق الكـــريم بابـــاً للتوبـــة وســـبيلاً الى مرضاته.

---

(١) الجزائري / قصص الانبياء ٣٩.

(١) سورة الأحزاب ٤٠.

ولقد كان تشريع الحج ملازماً لوجود الانسان على الارض، ارشد له آدم طريقاً للمغفرة وليكون سنة ثابتة في ذريته ففي خبر ابي ابراهيم عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: لما بلغ الوقت الذي يريد الله عز وجل ارسل اليه جبرئيل، فقال: السلام عليك يا آدم الصابر ليلته، التائب عن خطيئته، ان الله عز وجل بعثني اليك لاعلمك المناسك التي يريد الله ان يتوب بها عليك، فأخذ جبرئيل عليه السلام بيد آدم عليه السلام حتى أتى به مكان البيت[1].

بل ان آدم عليه السلام ولمقام النبوة اخبر بعظيم منزلة البيت الحرام وان الله عز وجل استعبد به خلقه وجعله مباركاً وان الطواف

حوله منهج الملائكة قبل ان يخلق آدم. ففي الصحيح عن الامام جعفر الصادق عليه السلام لما أفاض آدم من منى، تلقته الملائكة، فقالت: يا آدم بر حجك فانا قد حججنا هذا البيت قبل ان تحجه بالفي عام[2].

وبُر حجُك على البناء للمجهول، أي كان حجك مقبولاً وتاماً غير ناقص أو ليس فيه شائبة.

وهبوط آدم عليه السلام الى الارض يحكي بداية عمارة البيت الحرام واول مراحل بنائه. عن الامام محمد الباقر عن آبائه عليهم السلام قال: ان الله عز وجل اوحى الى جبرئيل عليه السلام اني قد رحمت آدم وحواء فاهبط عليهما بخيمة من خيم الجنة، فاضرب الخيمة مكان البيت وقواعدها التي رفعها الملائكة قبل آدم، فهبط بالخيمة على مقدار اركان البيت

(١) الوسائل باب ٢ من أبواب الحج / حديث ٢٠.

(٢) ن.م حديث ٦.

فنصبها وانزل آدم من الصفا وحواء من المروة وجمع بينهما في الخيمة وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر، فاضاء نوره جبال مكة فامتد ضوء العمود وهو موضع بالحرم اليوم فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لانهما من الجنة، ومدت اطناب الخيمة حولها، فمنتهى اوتادها ما حول المسجد الحرام، واوحى الله عز وجل الى جبرئيل ان اهبط من الخيمة بسبعين الف ملك يحرسونها من مردة الشياطين ويؤنسون آدم ويطوفون حول الخيمة فكانوا يطوفون حولها ويحرسونها، ثم ان الله تبارك وتعالى اوحى الى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك ان اهبط الى آدم وحواء فنحهما عن موضع القواعد وارفع قواعد بيتي لملائكتي وخلقي من ولد آدم فهبط عليهما واخرجهما من الخيمة ونحاهما عن البيت ونحى الخيمة عن موضع البيت وقال: يا آدم ان السبعين الف ملك الذين انزلهم الله الى الارض سألوا الله عز وجل ان يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع الترعة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، فاوحى الله تبارك وتعالى اليّ ان انحيك وارفع الخيمة، فرفع قواعد البيت بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكوفة فاوحى الله عز وجل الى جبرئيل عليه السلام ان ابنه واتمه فاقتلع جبرئيل عليه السلام الاحجار الاربعة من مواضعها بجناحه فوضعها حيث امره الله تعالى في اركان البيت على قواعده ونصب اعلامها.

ثم اوحى الى جبرئيل ان ابنه واتمه من حجارة ابي قبيس واجعل له بابين، باباً شرقاً،وباباً غرباً، فاتمه جبرئيل

عليه السلام فلما فرغ طافت الملائكة حوله فلما نظر آدم وحواء الى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة اشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان.

وفي خطبة للامام علي عليه السلام قال: ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم صلوات الله عليه الى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً.

وقد روي بالاسناد عن ابن عباس ان الله تعالى أوحى الى آدم لما أهبطه الى الارض ان لي حرماً حيال عرشي، فانطلق فأبن لي بيتاً فيه ثم طف به كما رأيت ملائكتي تحف بعرشي فهنالك استجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك. فقال آدم اني لست أقوى على بناءه ولا أهتدي اليه، فقيّض الله تعالى له ملكاً فأنطلق به نحو مكة وكان آدم في طريقه كلما رأى روضة او مكاناً يعجبه سأل الملك ان ينزل به هناك ليبني فيه، فيقول الملك انه ليس هاهنا حتى أقدمه مكة فبنى البيت من خمسة جبال طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجود وبنى قواعده من حراء، فلما فرغ خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعاً ثم رجع الى ارض الهند فمات[1].

ومن اركان الحج التي يبطل بتركها عمداً السعي بين الصفا والمروة، وفي الحديث انما سُمي الصفا لان المصطفى آدم أهبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسم آدم، وهبطت حواء على المروة فسُميت مروة لان المرأة هبطت عليه فقطع للجبل اسم من اسم المرأة.

---

(١) تاريخ الطبري ٢٣٧/٣.

ويتضمن الحديث تشريفاً للمسلمين لتعاهدهم شعائر الله وما فرض على العباد منذ ان خلق الله عزوجل آدم واسكنه الارض وفي قوله تعالى: ﴿ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾[1] مصداق وتوكيد لاحاديث المقام ، ودليل واقعي متصل وظاهر على اهلية المسلمين لخلافة الارض.

وروي ايضاً ان آدم حج من ارض الهند الى الكعبة اربعين حجة على رجليه، كما ورد ان الكعبة انزلت من السماء وهي ياقوتة أو لؤلؤة.

لقد اجتهد آدم عليه السلام في تعظيم شعائر الله وجعل البيت الحرام ملجأ وملاذا وواظب على هذا السفر الروحاني الذي يرتقي فيه المؤمن الى عالم الملكوت واستثمر ما فيه من الافاضات المعنوية وابواب الدعاء لسؤال التوبة ورجاء القرب من رحمة الله تعالى، واعطى للأجيال من ذريته دروساً في العبودية للرحمن فاز المسلمون بشرف ادائها والالتزام باحكامها.

وروى ابو جعفر عن وهب بن منبه[2] ان آدم دعا ربه فقال يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك ويقدسك فيها غيري، فقال الله اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني، وسأجعل فيها بيوتاً ترفع لذكري يسبحني فيها

---

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) وهب بن منبه الصنعاني (٢٠ -١١٠) هجرية وقيل توفي سنة ١١٤ وهو من التابعين، روى اخباراً كثيرة عن الكتب القديمة ومن الاسرائيليات ، اصله من ابناء فارس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن. مولده ووفاته بصنعاء. روى عن ابن عباس وابن عمر

خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أختصه بكرامتي وأوثره باسمي فاسميه بيتي وعليه وضعت جلالتي وخصصته لعظمتي وانا مع ذلك في كل شيء أجعل ذلك البيت حراماً آمناً، يحرم بحرمته ومن حوله ومن تحته ومن فوقه، فمن حرمه بحرمتي استوجب كرامتي، ومن أخاف اهله فقد اباح حرمتي، واستحق سخطي، واجعله بيتاً مباركاً يأتيه بنوك شعثاً غبراً على كل ضامر، من كل فج عميق، يرجون بالتلبية رجيجاً، ويعجون بالتكبير عجيجاً، من اعتمده لا يريد غيره ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفته لحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه، تعمره يا آدم ما دمت حياً، ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك، امة بعد امة، وقرناً بعد قرن، قال ثم امر آدم ان يأتي الى البيت الحرام الذي اهبط له الى الارض فيطوف به. كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش وكان البيت حينئذ من درة او ياقوتة فلما اغرق الله تعالى قوم نوح رفعه فبقي اساسه فبوأه الله لابراهيم فبناه[1].

ان قيام آدم عليه السلام ببناء البيت الحرام واداءه الحج لسنوات عديدة باب فخر للمسلمين في محافظتهم وتعاهدهم لفريضة الحج التي هي وباجماع المسلمين من اركان الدين.

ومن مناسك الحج الاساسية الطواف بالبيت الحرام وهو أحد الاركان الستة للحج الذي يبطل بتركه عمداً. والاجماع على ان الطواف سبعة اشواط فلو نقص شوطاً او شطراً منه بل ولو خطوة لم يصح الطواف ، للاصل ولقاعدة انتفاء المركب بأنتفاء بعض اجزائه ، ولما ورد في خبر ابي حمزة

(١) نهج البلاغة ٢٣٨/٣.

الثمالي عن الامام السجاد عليه السلام: لأي علة صار الطواف سبعة اشواط؟ فقال عليه السلام: ان الله قال للملائكة: ﴿اني جاعل في الارض خليفة﴾ فردوا عليه وقالوا: ﴿اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فقال: ﴿اني أعلم ما لا تعلمون﴾، وكان لا يحجبه عن نوره، فحجبه عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف عام فرحمهم وتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة، وجعله مثابة. وجعل البيت الحرام تحت البيت المعمور، وجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة اشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوط واحد أي ان تحديد عدد اشواط الطواف يتعلق في تشريعه بموضوع خلق آدم عليه السلام.

ان موضوع البيت الحرام وفريضة الحج لا ينحصر في الجانب العبادي فقط بل هو اعم من ذلك ويمكن تلمس الدروس الاخلاقية والاجتماعية والنفسية والسياسية فيه، فهو مناسبة لاجتماع المسلمين وتجديد احياء معالم الدين وتعظيم شعائر الله بروح الالفة والمحبة والتقوى وكان لآدم عليه السلام مأنساً. بالاسناد عن صفوان بن يحيى قال سئل ابو الحسن عليه السلام عن الحرم واعلامه، فقال: ان آدم عليه السلام لما اهبط من الجنة هبط على ابي قبيس، والناس يقولون بالهند فشكى الى ربه عزوجل الوحشة، وانه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة، فاهبط الله عز وجل ياقوتة حمراء فوضعت في موضع البيت، فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان يبلغ ضوؤها الاعلام، فعملت الاعلام على ضوئها فجعله الله عز وجل حرمه.

وفي تسمية مِنى، ورد عن ابن عباس ان جبرئيل لما اراد ان يفارق آدم عليه السلام قال له: تمَّنَ، قال: اتمنى الجنة فسُميت بذلك لأمنية آدم[١].

ولقد اعطى آدم عليه السلام درساً للاجيال بما كان يفعله من اجلال وتقديس والتفات الى اهمية تعظيم البيت الحرام في الواقع اليومي.

عن الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث رجلاً من قريش قال: لما تاب الله على آدم واقع حواء، ولم يكن غشيها منذ خلقت الا في الارض وذلك بعدما تاب الله عليه، وكان آدم يعظم الحرم وإذا اراد ان يغشى حواء خرج من الحرم واخرجها معه، وغشيها في الحل ثم يغتسلان، ثم يرجع الى فناء البيت.. ... الحديث[٢].

ومن الوجوه التي ذكرت علة في الاستدلال على الوقوف بالمشعر الحرام بعد طلوع الفجر في يوم النحر ضمن مناسك الحج، ما ورد في خبر عبد الحميد بن أبي الديلم عن الإمام الصادق عليه السلام: لِمَ سُمي الأبطح أبطحاً؟ قال: لأن آدم عليه السلام أُمر ان ينبطح في بطحاء جمع، فانبطح حتى انفجر الصبح، ثم أُمر ان يصعد جبل جمع، وأمره اذا طلعت الشمس ان يعترف بذنبه، ففعل ذلك، فأرسل الله ناراً من السماء فقبضت قربان آدم[٣].

---

(١) جواهر الكلام ١٩/١٠٠.

(٢) قصص الانبياء ٦٤ عن كتاب الخرايج.

(١) جواهر الكلام ٩١/٧٣.

آدم والحجر الاسود:

في الحديث: نزل الحجر الاسود من الجنة، وهو اشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم[1].

ويحتل الحجر الاسود قدسية خاصة عند كل مسلم لمقامه في البيت الحرام ولما يتضمنه من الاسرار الملكوتية، ومن مندوبات الطواف في الحج تقبيل الحجر الاسود واستلامه، ومع عدم التمكن تجزى الاشارة اليه.

وعن بكير بن اعين قال سألنى ابو عبدالله عليه السلام هل تدري ما كان الحجر؟

قلت: لا،

قال : كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عند الله عز وجل، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك، فأتخذه الله اميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق واودعه عنده واستعبد الخلق ان يجدوا عنده في كل سنة الاقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله به عليهم، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الاقرار في كل سنة، فلما عصى آدم عليه السلام وأخرج من الجنة انساه الله العهد والميثاق الذي اخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد ووصيه وجعله باهتاً حيراناً، فلما تاب على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء فرماه من الجنة الى آدم وهو بأرض الهند، فلما رآه انس اليه وهو لا يعرفه بأكثر من انه جوهرة، فأنطقه الله عز وجل، فقال: يا آدم اتعرفني؟ قال: لا، قال: أجل، استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، وتحول الى الصورة التي

(١) مجمع البحرين ٢٤٠ طبعة حجرية.

كان بها في الجنة مع آدم عليه السلام، فقال لآدم : أين العهد والميثاق . فوثب اليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبلّه، وجدد الاقرار بالعهد والميثاق، ثم حول الله عز وجل جوهرة الحجر درة بيضاء صافية تضيء، فحمله آدم على عاتقه اجلالاً له وتعظيماً، فكان اذا اعيى حمله عنه جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكة، فما زال يأنس به بمكة ويجدد الاقرار له كل يوم وليلة، ثم ان الله تعالى لما أهبط جبرئيل عليه السلام الى أرضه وبنى الكعبة، هبطا الى ذلك المكان بين الركن والباب وفي ذلك المكان تراءا لآدم حين أخذ الميثاق، وفي ذلك الموضع القم الملك الميثاق فلتلك العلة وضع في ذلك الركن، ونحى آدم من مكان البيت الى الصفا، وحواء الى المروة فأخذ جبرئيل الحجر، فوضعه بيده في ذلك الركن، فلما ان نظر آدم من الصفا قد وضع الحجر في الركن كبّر الله وهللّه ومجدّه، فلذلك جرت السنة بالتكبير في استقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا.. الحديث[1].

زواج الاولاد:

من المسائل التي يقع الكلام فيها في كل زمان ومكان مسألة زواج اولاد آدم وهل انهم تزوجوا من اخواتهم او انزلت لهم حور عين او غير ذلك ، فيها اقوال:

١- ان الله عز وجل انزل من الجنة حوريتين يتزوجهما ولدا آدم، ثم تزوج أبناءهم كما يتزوج اليوم اولاد العم بعضهم من البعض الاخر. فقد ورد عن زرارة عن الأمام جعفر

(١) علل الشرائع ٢/٤٣٠-٤٣١.

الصادق عليه السلام في حديث طويل فيمن قال بتزويج الاخوة من الأخوات: ويح هؤلاء عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق ان الله عز وجل امر بالقلم فجرى القلم على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى يوم القيامة قبل خلق آدم عليه السلام بالفي عام، وان كتب الله كلها مما جرى فيه القلم، في كلها تحريم الأخوات على الاخوة مع ما حرم، ونحن نقرأ الكتب المنزلة الأربعة المشهورة في هذا العالم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان أنزلها الله عز وجل من اللوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم، ليس فيها تحليل شيء من ذلك، ومن اراد ان يقول هذا وشبهه الا تقوية حجج المجوس، ثم انشأ يحدثنا كيف كان بدأ النسل من آدم وذريته فقال: ان آدم صلوات الله عليه ولد سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية الى ان قتل هابيل، فجزع آدم عليه جزعاً قطعه عن اتيان النساء خمسمائة عام ثم تخلى مابه من الجزع عليه فغشى حواء، فوهب الله له شيثاً، وليس معه ثان، فلما ادرك واراد الله ان يبلغ به النسل ما ترون وان يكون ما جرى به القلم تحريم ما حرم الله عز وجل من الاخوات على الاخوة انزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فأمر الله عز وجل ان يزوجها من شيث فزوجها منه ثم انزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها (منزلة) فامر الله عز وجل ان يزوجها من يافث فزوجها منه فولد لشيث غلام وولد ليافث جارية، فامر الله عز وجل آدم حين أدرك ان يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل ذلك، فولد الصفوة من البنين والمرسلين ومعاذ الله ان ذلك على ما قالوا من الاخوة والاخوات.

و بالاسناد عن زرارة قال: سئُل ابو عبد الله عليه السلام ان عندنا اناساً يقولون ان الله تبارك وتعالى اوحى الى آدم عليه السلام ان يزوج بناته من بنيه، وان هذا الخلق كله اصله من الاخوة والاخوات، قال ابو عبد الله عليه السلام: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً يقول من يقول هذا ان الله عز وجل جعل صفوة خلقه وابو انبيائه من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، و الله لقد أنبأت ان بعض البهائم تنكرت له اخته، فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها، وعلم انها اخته اخرج عزموله في ذكره ثم قبض عليه باسنانه ثم قلعه ثم خر ميتاً.

ولكن وردت نصوص اخرى تشير الى خلاف ذلك منها ما رواه الثمالي عن الامام علي بن الحسين عليه السلام وجاء فيه انه ولد لآدم من حواء عشرون ولداً ذكراً وعشرون انثى، فولد له في كل بطن ذكر وانثى، فاول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها اقليما، وولدت في البطن الثاني قابيل ومعه جارية يقال لها لوذا، وكانت لوذا اجمل بنات آدم، فلما ادركوا خاف عليها آدم الفتنة فقال اريد ان انكحك يا هابيل لوذا، وانكحك يا قابيل اقليما. قال قابيل: ما ارضى بهذا اتنكحني اخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل اختي الجميلة. قال آدم عليه السلام: فانا اقرع بينكما فان خرج سهمك يا قابيل على اقليما زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها فرضيا بذلك فاقترعا فخرج سهم هابيل على لوذا اخت قابيل وخرج سهم قابيل على اقليما اخت هابيل فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال ثم حرم الله نكاح الاخوات بعد ذلك، فقال له القرشي أي

الذي سأله : من ولدهما؟ قال: نعم. فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا هذا أليس الله خلق زوجة آدم منه، ثم احلها، فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثم انزل الله التحريم بعد ذلك.

وحمل هذا الحديث وشبهه على التقية ولكن فيه دلالات منها ان الله عز وجل فتحه مرة ثم غلقه حتى يوم القيامة بانزاله الحريم، وكان استبعاده في الذهن لاعتبار الارتكاز الشرعي ضمن اركانه.

والحديث لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[1]. كذلك حديث الحوريتين لتعلقه باصل خلق ادم ونفخ الروح فيه .

ثم انه يمكن التساؤل ان بنات آدم عليه السلام هل بقين من دون ازواج. وعلى القول بان اولاد آدم انزل لهم حور عين من الجنة فهل يعتبر الانسان ابناً مشتركاً تجتمع فيه خصائص البشر وخصائص الحور العين، وهل بقيت تلك الخصائص ام تلاشت واستهلكت، ام ان الله عز وجل جعل تلك الحور العين بنفس خصائص وخلقة البشر. ولكن ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام: ان ما كان من الناس من جمال وحسن خلقة فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنات الجان.

فقد ورد في نص اخر ان الله عز وجل انزل مرة جنية وانزل اخرى حوراء، عن الامام جعفر الصادق عليه السلام

(١) سورة النساء ١.

قال: لما اهبط الله آدم وحواء الى الارض و جمع بينهما، ولدت له بنتاً فسماها عناقاً، فكانت اول من بغى على وجه الارض وسلط الله عليها ذئباً كالفيل ونسراً كالحمار فقتلاها، ثم ولد له اثر عناق قابيل فلما ادرك اظهر الله عزوجل جنية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة انسية فلما رآها قابيل احبها، فاوحى الله الى آدم ان يزوج جهانة من قابيل ثم ولد لآدم هابيل فلما ادرك اهبط الله على آدم حوراء واسمها نزلة الحوراء، فلما رآها هابيل احبها، فاوحى الله الى آدم ان يزوجها من هابيل ففعل ذلك، فكانت نزلة الحوراء زوجة لهابيل بن آدم، ثم اوحى الله لآدم ان يضع ميراث النبوة والعلم ويدفعه الى هابيل ففعل ذلك، فلما علم قابيل غضب وقال لابيه: ألست اكبر من اخي واحق بما فعلت به؟ فقال: يا بني ان الامر بيد الله وان الله خصه بما فعلت فان لم تصدقني فقربا قرباناً فايكما قبل قربانه فهو اولى بالفضل، وكان القربان في ذلك الوقت تنزل النار فتأكله، وكان قابيل صاحب زرع، فقرب قمحاً رويأً، وكان هابيل صاحب غنم فقرب كبشاً سميناً، فاكلت النار قربان هابيل فاتاه ابليس فقال يا قابيل لو ولد لكما ولد وكثر نسلكما افتخر نسله على نسلك بما خصه به ابوك، ولقبول النار قربانه وتركها قربانك وانك ان قتلته لم يجد ابوك بداً من ان يخصك بما دفعه اليه، فوثب قابيل الى هابيل فقتله، ثم قال ابليس: ان النار التي قبلت القربان هي المعظمة فعظمها واتخذ لها بيتاً واجعل لها اهلاً واحسن عبادتها و القيام عليها يقبل قربانك اذا اردت ذلك. ففعل قابيل ذلك فكان اول من عبد النار واتخذ بيوت النيران، وان آدم اتى الموضع الذي قتل فيه قابيل اخاه فبكى

هناك اربعين صباحاً يلعن تلك الارض حيث قبلت دم ابنه وهو الذي فيه قبلة المسجد الجامع بالبصرة، وان هابيل يوم قتل كانت امرأته نزلة الحوراء حبلى، فولدت غلاماً فسماه آدم بأسم ابنه هابيل، وان الله عز وجل وهب لآدم بعد هابيل ابناً فسماه شيث، ثم قال ان هذا هبة الله، فلما ادرك اهبط الله على آدم حوراء يقال لها ناعمة في صورة انسية، فلما رآها شيث احبها، فأوحى الله الى آدم ان زوج ناعمة من شيث ففعل ذلك آدم، فولدت له جارية فسماها آدم حورية فلما ادركت اوحى الله الى آدم ان زوج حورية من هابيل ففعل ذلك آدم، فهذا الخلق الذي ترى من هذا النسل، فلما انقضت نبوة آدم أمره الله تعالى ان يدفع العلم وآثار النبوة الى شيث وامره بالكتمان والتقية من اخيه لئلا يقتله كما قتل هابيل.. الحديث[1].

وفي تفسير العياشي عن ابي بكر الحضرمي عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان آدم لما ولد له اربعة ذكور فأهبط الله اليهم اربعة من الحور العين، فزوج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا، ثم ان الله رفعهن وزوج هؤلاء الاربعة اربعة من الجن، فصار النسل فيهم فما كان من حلم فمن آدم وما كان من جمال فمن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجن.

ولدا آدم:

(١) الجزائري / قصص الانبياء ٦٥.

قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ اذ قرّبا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾[1].

تبين هذه الآية الشريفة والآيات التى جاءت عقبها قصة ابني آدم عليه السلام وكيف ان احدهما وهو قابيل قتل اخاه وهو هابيل. فأصبح أول قتل ودم مسفوك على وجه الارض وهو المروي عن أهل البيت عليه السلام وبه قال ابن عباس وعبدالله بن عمر ومجاهد وقتادة واكثر المفسرين والمؤرخين، ولكن الحسن البصري وابا مسلم محمد بن بحر والزجاج قالوا بأن المراد بآدم في الآية رجل من بني اسرائيل اختلف ابناه في موضوع القربان، وقولهم هذا بعيد ومخالف لسياق الآيات والمتبادر من ذكر آدم.

وتبين الآية الشريفة حال التقوى التي عليها أحد ابني آدم وأثرها في احترام النفوس والاحتراز من الدماء ، وسلوك الابن الآخر يؤكد ضمناً ما قام به ابليس من اغواء.

والآية الكريمة بيان للصراع الدائم بين قوى الصلاح وقوى الشر، وبين رواد العدل واهل الظلم.

وفي الكافي باسناده عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى عهد الى آدم عليه السلام ان لا يقرب هذه الشجرة، فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله ان يأكل منها فأكل منها وهو قول الله تعالى: ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ فلما اكل آدم من الشجرة أهبط الى الارض فولد له هابيل واخته توأم، وولد له قابيل وأخته توأم، ثم ان آدم أمر هابيل وقابيل

(١) سورة المائدة ٢٧.

ان يقربا قربانا وكان هابيل صاحب غنم، وكان قابيل صاحب زرع وقرب هابيل كبشاً من افاضل غنمه وقرب قابيل من زرعه ما لم ينق، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وهو قول الله عز وجل: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر﴾.

وكان القربان تأكله النار فعمد قابيل الى النار فبنى لها بيتاً وهو أول من بنى بيوت النار، فقال لأعبدن هذه النار حتى تتقبل مني قرباني ثم ان ابليس لعنه الله اتاه وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق. فقال يا قابيل قد تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانك، وانك ان تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك ويقولون نحن ابناء الذي تقبل قربانه فاقتله لئلا يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله فلما رجع قابيل الى آدم عليه السلام قال يا قابيل اين هابيل؟ فقال: اطلب حيث قربنا القربان فأنطلق فوجد هابيل قتيلاً. فقال آدم عليه السلام: لعنت من ارض كما قبلت دم هابيل، وبكى آدم على هابيل أربعين ليلة[1].

وبالاسناد عن ابي حمزة الثمالي عن ثوير قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث رجالاً من قريش قال: لما قرب ابناء آدم القربان قرب احدهما اسمن كبش كان في صيانته، وقرب الآخر ضغثاً من سنبل، فتقبل من صاحب الكبش وهوهابيل ولم يتقبل من الآخر، فغضب قابيل فقال لهابيل: ﴿والله لاقتلنك﴾ فقال هابيل: ﴿انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء بائمي

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢٢٠/١١.

واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جراء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه﴾ فلم يدر كيف يقتله حتى جاء ابليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين حجرين ثم اشدخه، فلما قتله لم يدر ما يصنع به، فجاء غرابان فاقبلا يتضاربان حتى اقتتلا، فقتل احدهما صاحبه، ثم حفر الذي بقي في الارض بمخالبه ودفن فيه صاحبه، قال قابيل: ﴿يا ويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة أخي فاصبح من النادمين﴾ فحفر له حفيرة ودفنه فصارت سنّة يدفنون الموتى فرجع قابيل الى ابيه، فلم ير معه هابيل، فقال له آدم عليه السلام اين تركت ابني؟ قال له قابيل: ارسلتني عليه راعياً. فقال آدم: انطلق معي الى مكان القربان واوجس قلب آدم بالذي فعل قابيل، فلما بلغ مكان القربان استبان له قتله، فلعن آدم الارض التي قبلت دم هابيل، وامر آدم ان يلعن قابيل ونودي قابيل من السماء تعست كما قتلت اخاك، ولذلك لا تشرب الارض الدم، فأنصرف آدم يبكي على هابيل اربعين يوماً وليلة، فلما جزع عليه شكى ذلك الى الله فأوحى الله اليه اني واهب لك ذكراً يكون خلفاً عن هابيل فولدت حواء غلاماً ذكياً مباركاً فلما كان يوم السابع اوحى الله اليه يا آدم ان هذا الغلام هبة مني لك فسمه هبة الله، فسماه آدم عليه السلام هبة الله. وهبة الله هو شيث.

لقد كانت واقعة مقتل هابيل اول مصيبة في الارض، وقد تبدو غريبة مع قلة الفتن والناس في الارض وليس عليها الا اخوان لأب خلقه الله بيده، لذا يبدو هنا أثر فعل ابليس واغوائه وان حسده وبغيه على آدم في الجنة استمر في الارض ايضاً وليتعدى الى ابنائه وذريته، مما يملي على آدم عليه

السلام وظائف اضافية بالتصدي الحازم لمكر ابليس، وباعداد ذريته اعداداً عقائدياً وايمانياً جامعاً لاسباب الوقاية والحصانة من شر الشياطين واتباع الهوى، بل وتتعدى تلك الوظائف الى بني آدم عامة وفي القرآن شواهد على ذلك.

وفي القصة بيان للآثام المتصلة بسنة السوء، فقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: لا تقتل نفساً ظلماً الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها[1].

وسأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يوم يفر المرء من اخيه..﴾ فقال عليه السلام: قابيل يفر من اخيه هابيل، وسئل عليه السلام عن يوم الاربعاء والتطير منه. فقال عليه السلام هو آخر اربعاء أي من الشهر وهو المحاق فيه قتل قابيل اخاه هابيل.

أي ان واقعة قتل قابيل لهابيل تركت آثاراً على حياة عموم البشر في الارض، وان لها معلماً خاصاً يوم القيامة، كما ان قابيل لم ينج من عذاب البرزخ. فقد ورد عن الامام علي بن الحسين عليه السلام: ان قابيل يعذب بعين الشمس ويستقبلون بوجهه الشمس حتى تطلع ويديرونه معها حتى تغيب ثم يصبون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحر الماء الحار. وعن ابي جعفر عليه السلام ويوم القيامة يصيره الله الى النار. ولم تنحصر آثار جناية قابيل على الناس بل تعدت الى البهائم والحيوانات، فقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: كانت الوحوش والطير والسباع وكل شيء خلق الله عز وجل مختلطاً ببعض، فلما قتل ابن آدم اخاه نفرت وفزعت فذهب كل شيء الى شكله.

---

(١) تفسير الرازي ١١/ ٢٠٨.

لقد احزن مقتل هابيل آدم عليه السلام كثيراً لما فيه من مصيبة مركبة بطرفيها فالقاتل والمقتول من أولاده، والقتل جاء خلافا لنواميس الشريعة وعلة خلق الانسان وهى عبادته تعالى ، انه نوع ابتلاء لاول نبي على الارض

فلا غرابة ان يشتد حزن ادم على موت هابيل بل وعلى قيام ولده قابيل بقتل اخاه ، اى ان مصيبة ادم كانت مركبة وتتعلق بموضوعين موضوع النبوة وخلافة الارض وموضوع الابوة.

وبالاسناد ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام لما سأله الشامي عن أول من قال الشعر. قال: آدم، لما انزل الى الارض من السماء فرأى تربتها وسمكها وهواها وقتل قابيل هابيل. فقال آدم عليه السلام:

تغيّرت البلاد ومن عليها ❖ فوجه الارض مغبرٌ قبيح

تغيّر كل ذي طعمٍ ولونٍ ❖ وقلّ بشاشةُ الوجه المليح

فاجيب آدم عليه السلام كما في خبر الطبري:

ابا هابيل قد قُتلا جميعاً ❖ وصارُ الحّي كالميتِ الذبيح

وجاء بِبشرّةِ قد كان منها ❖ على خوف فجاء بها يصيح[1].

(١) الطبري / تأريخ الرسل والملوك ١٤٥/١.

وفي الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام فاجابه ابليس لعنه الله:

تنح عن البلاد وساكنها ❖ فبيء بالخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار ❖ وقلبك من ادنى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري ❖ الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار اضحت ❖ بكفك من جنان الخلد ريح

وذكر في التوراة ان هابيل قُتل وله عشرون سنة، وأن قابيل كان له يوم قَتله خمس وعشرون سنة[1].

وقال الطبري وذكر ان حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن أولهم قابيل وتوأمته اقليما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث. ولكنه لم يذكر جهة الصدور والسند مما يجعل الخبر ضعيفاً مرسلاً. كما انه ذكر بالاسناد عن السُدي: فولدت يعني حواء غلاماً، فاتاها ابليس. فقال: سموه عبدي، والا قتلته، قال له آدم: قد اطعتك واخرجتني من الجنة فابى أن يطيعه، فسماه عبد الرحمن، فسلّط عليه ابليس لعنه الله فقتله، فحملت بآخر فلما ولدته، قال: سميه عبدي والا قتلته، قال له آدم عليه السلام: قد اطعتك فاخرجتني من الجنة، فأبى فسماه صالحاً، فقتله، فلما كان الثالث قال لهما: فاذا غلبتموني فسمّوه عبد الحارث، وكان

(١) ن. م ١/١٤٤.

اسم ابليس الحارث، وانما سمي ابليس حين أبلس أي تحير، فذلك حين يقول الله عز وجل:﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾، يعني في الاسماء[١].

وذكر قريب من ذلك عن سعيد بن جبير، وايضاً عن ابن عباس عن طريق عكرمة.

وبالاضافة الى ضعف سند بعض هذه الاحاديث فانها لم ترفع الى المعصوم ويمكن التأمل فيها من حيث الدلالة فأن كيد الشيطان ضعيف ولم يصل تسلطه على آدم وذريته الى هذه الدرجة، كما انها معارضة بما رواه علي بن الجهم الذي قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى، الى ان قال ، فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿فلما اتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ فقال الرضا عليه السلام: ان حواء ولدت لآدم خمسمائة بطن في كل بطن ذكر وانثى وان آدم وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا لئن اتيتنا صالحاً من النسل، خلقاً سوياً بمنأ من الزمانة والعاهة، كان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً اناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر ابويهما له عز وجل فتعالى الله عما يشركون. فقال المأمون اشهد انك ابن رسول الله حقاً[٢].

ولقد بذل آدم عليه السلام قصارى جهده في تأديب اولاده وتعليمهم احكام الشريعة ومنذ ذلك الحين بدأت مسيرة التوحيد الراسخة في الارض.

---

(١) ن. م ١/١٥٠.

(٢) الجزائري / قصص الانبياء ١٧ عن عيون الاخبار.

وفي الحديث ان آدم عليه السلام لما كثر ولده وولد ولده كانوا يتحدثون عنده وهو ساكت. فقالوا يا أبه مالك لا تتكلم؟ فقال: يا بَني ان الله جل جلاله لما اخرجني من جواره عهد اليّ وقال: اقلل كلامك ترجع الى جواري.[1]

لقد تحمل ادم اعباء ومسؤوليات الخلافة في الارض ومن اهم وجوهها تأديب الابناء وتعليمهم معالم الدين وفروع العبادة ، انه باب مفتوح للتوبة والمغفرة.

وصية آدم:

من العهود المتوارثة التي حرص الانسان عليها الوصية، ولها شعبتان، الاولى تتعلق بالحياة الدنيا واستمرار المبدأ او المنفعة فيها والثانية تتعلق بالدار الآخرة وتهيئة اسباب النجاة يوم الحشر.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر للوصية، ومنه قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ووصى بها ابراهيم بنيه﴾[3].

ولقد عهد الله عز وجل الى آدم، وكذلك أوصى آدم الى بنيه بما يساهم في تثبيت دعائم التوحيد في الارض والاستعداد لنصرة من يبعثه الله عز وجل رسولاً.

ان آدم عليه السلام في وصيته يختلف عن غيره من البشر، فقد خلقه الله عز وجل بيده، وسكن الجنة وعاش في

---

(١) ن.م ٥٣.

(٢) سورة الشورى ١٣.

(٣) سورة البقرة ١٣٢.

بحبوحتها حيث الملائكة والآيات الظاهرة، بالاضافة الى انه نبي من الانبياء فلابد ان يحرص على مسألة الوصية واحكامها.

لذا ورد بالاسناد عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: لما أكل آدم من الشجرة اهبط الى الارض فولد له هابيل واخته توأم، ثم ولد قابيل واخته توأم.. الى ان قال، ثم ان آدم عليه السلام سأل ربه ولداً فولد له غلام فسماه هبة الله، لان وهبه له واخته توأم فلما انقضت نبوة آدم عليه السلام واستكمل ايامه أوحى الله اليه ان يا آدم قد قضيت نبوتك واستكملت ايامك، فاجعل العلم الذي عندك والايمان، والاسم الاكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك عند هبة الله ابنك فأني لم اقطع العلم والايمان والاسم، وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك الى يوم القيامة ولن ادع الارض الا وفيها عالم يعرف به ديني، ويعرف به طاعتي، ويكون نجاة لّمن يولد فيما بينك وبين نوح، وبشر آدم عليه السلام بنوح وقال: ان الله باعث نبياً اسمه نوح، فانه يدعو الى الله ويكذّبه قومه فيهلكهم الله تعالى بالطوفان، وكان بين آدم ونوح عشرة آباء كلهم انبياء.

وأوصى آدم عليه السلام الى هبة الله ان من ادركه منكم فليؤمن به، وليتبعه وليصدق به فانه ينجو من الغرق، ثم ان آدم مرض المرضة التي مات فيها، فأرسل الى هبة الله، فقال له ان لقيت جبرئيل ومن لقيت من الملائكة فاقرأه مني السلام، وقل له يا جبرئيل ان أبي يستهديك من ثمار الجنة. فقال جبرئيل: يا هبة الله ان أباك قد قبض، وما نزلنا الا

للصلاة عليه فأرجع، فرجع فوجد آدم عليه السلام قد قبض فاراه جبرئيل كيف يغسله، فغسله حتى اذا بلغ الصلاة عليه قال هبة الله يا جبرئيل تقدم فصل على آدم. فقال له جبرئيل ان الله أمرنا ان نسجد لأبيك آدم وهو في الجنة فليس لنا نؤم شيئاً من ولده، فتقدم هبة الله فصلى على ابيه آدم وجبرئيل خلفه وجنود الملائكة وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأمره جبرئيل فرفع من ذلك خمساً وعشرين تكبيرة، والسنة اليوم فينا خمس تكبيرات وقد كان صلى الله عليه وآله يكبر على أهل بدر سبعاً وتسعاً، ثم ان هبة الله لما دفن آدم، أتاه قابيل فقال: يا هبة الله اني قد رأيت ابي آدم قد خصك من العلم بما لم يخص به انا وهو العلم الذي دعا به اخوك هابيل، فتقبل منه قربانه، وانما قتلته لكي لا يكون له عقب يفتخرون على عقبي، يقولون نحن ابناء الذي تقبل منه قربانه، وانتم ابناء الذي ترك قربانه، وان اظهرت من العلم الذي اختصك به ابوك شيئاً قتلتك كما قتلت اخاك هابيل، فلبث هبة الله والعقب من بعده مستخفين بما عندهم من العلم والايمان، والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة حتى بعث الله نوحاً وظهرت وصية هبة الله في ولده حين نظروا في وصية آدم عليه السلام فوجدوا نوحاً نبياً قد بشر به ابوهم آدم، فآمنوا به واتبعوه، وصدّقوه، وقد كان آدم عليه السلام أوصى الى هبة الله ان يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة، فيكون يوم عيدهم يتعاهدون بعث نوح وزمانه الذي يخرج فيه، وكذلك في وصية كل نبي حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم.

وتظهر هذه الرواية حرص آدم على ميثاق النبوة والتبشير بالرسول الذي يأتي من بعده، واخفاء معالم النبوة وآياتها عن قابيل وانها لم تذهب بموت آدم عليه السلام ولكنها انتقلت للوصي من بعده فضلاً منه تعالى حيث حرص آدم عليه السلام على تعليم أولاده الاحكام والشرائع الالهية.

وبالاسناد عن محمد بن اسحاق قال: لما حضرت آدم الوفاة - فيما يذكرون والله اعلم- دعا ابنه شيثاً فعهد اليه عهده، وعلّمه ساعات الليل والنهار، واعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهن، فأخبره ان لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته، وقال له: يا بنيّ ان الطوفان سيكون في الارض يلبث فيها سبع سنين، وكتب وصيته، فكان شيث فيما يذكر وصيّ ابيه آدم عليه السلام، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث، فأنزل الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسين صحيفة[1].

لقد قام آدم عليه السلام بوظائف النبوة في حياته، وبذل وسعه في تهيئة مستلزماتها في عقبه، فأورثها بأمره تعالى الى هبة الله لكي لا تخلو الارض من حجة يرجع اليها العباد (بالاسناد عن نعمان الرازي قال: كنت جالساً انا وبشير الدهان عند ابي عبدالله عليه السلام. فقال: لما انقضت نبوة آدم، وانقطع أكله، اوحى الله عز وجل اليه ان يا آدم قد انقضت نبوتك، وانقطع أكلك فانظر الى ما عندك من العلم والايمان وميراث النبوة واثرة العلم والاسم الاعظم فاجعله في

(١) الطبري / تأريخ الرسل والملوك ١/ ١٥٢.

العقب من ذريتك عند هبة الله فاني لم ادع الارض بغير عالم يعرف به طاعتي وديني ويكون نجاة لمن اطاعه)[١].

وفاة آدم:

لقد كتب الله عز وجل الموت على آدم كسائر البشر: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾. وكان يوم وفاة آدم عليه السلام يوماً مشهوداً، انه نبي الله الذي خلقه بيده واول من سكن الارض من البشر يغادرها بالموت وزهوق الروح بغض النظر عن مسألة الموت وهل هو أمر وجودي أم عدمي. لقد الفته الملائكة وعرفته الذي اكرمه الله بسجودهم له فلا غرابة اذن ان ينزلوا من السماء ليودعوه ويصلوا عليه.

وبالاسناد عن ابي بن كعب عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في حديث: فلما حضرته (أي آدم) الوفاة، بعث الله اليه بحَنوطه وكفنه من الجنة، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم اليه، فقال: خلّي عني وعن رسل ربي، فاني ما لقيت ما لقيت الا فيك، ولا اصابني ما اصابني الا منك، فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وتراً، وكفنوه في وتر من الثياب، ثم لَحَدوا له فدفنوه، ثم قالوا: هذه سنة ولد آدم من بعده[٢].

ولقد أصيب آدم عليه السلام بالمرض قبل موته. وهو مناسبة للاستغفار وتجديد التوبة، وتوثيق موضوع الوصية ومراجعة تفصيلاتها. (وذكر ابن طاووس في سعد السعود انه

---

(١) علل الشرائع ١ / ١٩٥.

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ١/ ١٦٠.

في صحف ادريس عليه السلام ان آدم عليه السلام مرض عشرة أيام بالحمى، ووفاته يوم الجمعة لاحد عشر يوماً خلت من المحرم، ودفن في غار جبل أبي قبيس[١] ووجهه الى الكعبة وان حواء ما بقيت بعده إلا سنة، ثم مرضت خمسة عشر يوماً ثم توفيت ودفنت الى جنب آدم عليه السلام[٢].

وورد عن ابن إسحاق أنه قال: لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه واجتمعت عليه الملائكة من أجل انه كان صفي الرحمن، فقبرته الملائكة، وشيث واخوته في مشارق الفردوس، عند قرية هي أول قرية كانت في الارض، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة ايام ولياليهن، فلما أجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية، جعلها في معراج، ومعها القرن الذي اخرجه ابونا آدم من الفردوس، لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل.

لقد قامت الملائكة بالمشاركة والمؤازرة في غسل آدم ودفنه بياناً وتثبيتاً للسنة واكراماً لآدم الذي سجدوا له طاعة لله عز وجل وربما كان فيه أكرام للملائكة من حيث طول العمر، فالذي سجدوا له مات وغيب في الارض ساكناً بلا حركة الى ان يشاء الله، وهم احياء مكرمون.

وفي الوقت الذي ورث فيه شيث النبوة بعد وفاة ابيه آدم عليه السلام فان ابليس فرح بموت آدم. وقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: لما مات آدم عليه السلام

---

(١) ابو قبيس: جبل بمكة، قريب من الكعبة، وكان يسمى الامين لأن الركن كان مستودعاً فيه، ويسمى غاره غار الكنز الذي قال فيه ياقوت في معجم البلدان ٦ /٢١٦ انه موضع في جبل ابي قبيس، دفن فيه آدم كتبه فيما زعموا.

(٢) قصص الانبياء ٧٠ عن سعد السعود.

وشمت به ابليس وقابيل فاجتمعا في الارض، فجعل ابليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم فما كان في الارض من هذا الضرب الذي يتلذذ به الناس فانما هو ابن ذاك.

قبر آدم:

القبر مدفن الانسان حينما يموت، وهو مما اكرم الله عز وجل به الانسان وفيه منع لهتكه او التأذي من رائحته، وآدم وان كان أبا البشر الا ان ابنه هابيل سبقه الى الموت والدفن كما تقدم.

ان حضور الملائكة دفن آدم. بعد المشاركة في تغسيله وفي مرسلة الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما توفى آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً، وألحدوا له، وقالت: هذه سنة آدم في ولده [1]، أي انهم علموا اولاد آدم كيفية الغسل والدفن واحكامهما.

وفي موضع قبر آدم اقوال:

١- انه دفن في مكة، وعن الامام الباقر عليه السلام قال: ان مابين الركن والمقام لمشحون من قبور الانبياء، وان آدم لقى حرم الله عز وجل، وقد تقدم عن ابن طاووس انه دفن في جبل ابي قبيس.

٢- ان آدم مات على بوذ أي الجبل الذي اهبط عليه ، وهو المروي عن ابن عباس وانه لما خرج نوح من السفينة دفن آدم عليه السلام ببيت المقدس[2]

---

(١) تاريخ الطبري ١/١٦٠.

(٢) ن.م ١/١٦١.

٣- انه دفن في مشارق الفردوس، عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وهو المروي عن ابن اسحاق.

٤- ماورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نوح عليه السلام وهو في السفينة ان يطوف بالبيت اسبوعاً، فطاف اسبوعاً ثم نزل في الماء الى ركبتيه، فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام، فحمل التابوت في جوف السفينة، حتى طاف بالبيت ما شاء الله ان يطوف، ثم ورد الى باب الكوفة في وسط مسجدها، وتفرق الجمع الذي كان مع نوح عليه السلام في السفينة فاحذ التابوت فدفنه في الغري[1].

لذا ورد في زيارة الدورة ومن عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام زيارة آدم عليه السلام وفيها: السلام عليك يا صفي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا أمين الله، السلام عليك يا خليفة الله في أرضه السلام عليك يا أبا البشر، السلام عليك وعلى روحك وبدنك وعلى الطاهرين من ولدك وذريتك، صلاة لا يحصيها إلا هو ورحمة الله وبركاته.

(١) قصص الانبياء ٧.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
بين النبوة والرسالة	٥
الأسم الأعظم	١٠
أولوا العزم	١٢
أعمار الانبياء وصفاتهم	١٤
آدم نبي	١٦
الحياة اليومية للأنبياء	١٨
صفة آدم	٢٢
أسم آدم	٢٦
خلق آدم	٢٧
أدم والملائكة	٣٥
خلافة الأرض	٤٤
معرفة الأسماء	٤٨
سجود الملائكة	٥٥
آدم وابليس	٦٤
حواء	٧١
نفخ الروح	٧٧
آدم والجنة	٧٨
الشجرة	٨١

الخروج من الجنة	٨٨
الهبوط	٩١
موضع الهبوط	٩٥
ابليس في الأرض	٩٧
الأرض مستقر	٩٩
ذرية آدم	١٠٣
آدم والصلاة	١٠٨
آدم والصيام	١٠٩
التوبة والندم	١١١
لباس آدم	١١٣
عمر آدم	١١٤
تشريع الزواج	١١٦
القوت	١١٩
آدم والنبي محمد (ص)	١٢٠
آدم والحج	١٢٣
آدم والحجر الأسود	١٣١
زواج الأولاد	١٣٣
ولدا آدم	١٣٨
وصية آدم	١٤٦
وفاة آدم	١٥٠
قبر آدم	١٥٢